ANCORA IMPARO



العصور
السنة الثالثة

اكتوبر ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك: فيثاغورس مجلد ٥ العدد ٢٦

حاجتنا الى الاصلاح الاجتماعى

تدعونا الى تأسيس حزب الفلاح المصرى

بعد ان قطعت ما قطعت من طول التأمل والاستبصار ، وبعد ان عركت كثيراً من التجاريب العملية ، ايقنت بان علينا واجباً نؤديه جميعاً بصفتنا مصريين اولا وبصفتنا هيئة اجتماعية ثانياً ، وان هذا الواجب يحفزنا الى تأسيس حزب جديد ، وان التهاون فى تأسيسه وتنظيم قواته المشتتة الآن ، سوف يكون سبباً فى ان نواجه عواصف اجتماعية وقلاقل ، اعتقد ان تأسيس هذا الحزب على القواعد التى بثتها فى مشروعه كافية لحمايتنا من تلك الشرور الكبرى .

لهذا القى بمشروعى بين يدى الرأى العام ، عسى ان يجد من المفكرين مجالا للنقد ، وأن لا يتورط احد الى النظر فيه نظرة بعيدة عن مراميه الاجتماعية الصرفة .

وإنى ان تقدمت به الى صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ، فانى انما اتقدم به اليه موقناً بأنى القى به فى اكناف زعيم كفيل بانه يقدر الظروف ويقيس الحقائق بمقياس المنفعة العامة وحدها ، فان نجحت فذلك اقصى ما اتمنى ، وان لم انجح اليوم فانى على يقين كامل فى انى سوف انجح غداً .

اسماعيل مظهر

مشروع لتأسيس

حزب الفلاح المصرى

The Egyptian Agrarain Party

مقدم لصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري

يا صاحب الدولة

بالصفة العليا التى لكم فى هذه البلاد كرئيس للوفد المصرى ، وخليفة للزعيم الأكبر المغفور له سعد زغلول باشا ، والمدافع الطبيعى عن الديمقراطية الحقيقية ، وبحكم أنك الزعيم الأول للأغلبية الساحقة من المصريين ، أتقدم إليكم بهذا المشروع الذى أعتقد أنه أعظم مشروع حيوى ترتكز عليه حياة مصر الاجتماعية حالا ومستقبلا ، معتقدا اعتقادا كليا جازما بأنه سوف يفوز بتعضيدكم العملى والأدبى . ولست فى مقام أتورط فيه إلى شرح المزايا التى يتضمنها أو المقتضيات السياسية والاجتماعية التى تجعل قيام مثل هذا الحزب ضرورة طبيعية ، إن لم نشعر بضرورة الخضوع لها اليوم ، فسوف تحمل مسؤولية إهمال التفكير فيها فى المستقبل القريب ، على الرغم من شعور الناس شعورا خفيا عميقا بالحاجة إليها الآن . وغير خاف أن « حزب الفلاح المصرى » بحكم طبيعة البلاد وتكوين مزاجها الاجتماعى ، هو أدوم الأحزاب بقاء ، وأكثرها قوة ، وأعزها جانبا . ذلك لأنه يقوم على ضرورات الطبيعة والاجتماع . وفضلا عن هذا فان « حزب الفلاح المصرى » شىء محسوس بوجوده فى الجو المصرى ، وإن لم يكن له نظام موضوع . فهذا المشروع فى الواقع تنفيذ لحاجة يشعر بها الناس ، وتنظيم لقوة سياسية اجتماعية هى لدى الواقع أكبر قوة فى البلاد . فاذا تفضلتم يا صاحب الدولة بالموافقة على المشروع إجمالا ، أى على الفكرة التى يقوم عليها ، مع ترك المناقشة فى التفاصيل للجنة التأسيسية التى سوف تنظر فى نظام الحزب ومبادئه على القواعد الموضوعة فى هذا المشروع ، بدأنا بالتنفيذ تحت رعايتكم ، لنضع فى الواقع حجرا أساسيا فى بناء المجد الخالد الذى سوف تشيده مصر بفضل زعمائها المضحين لها بكل ما يعز على الناس من جهد وحطام . وتفضل يا صاحب الدولة بقبول التحيات مشفوعة بصيغ الاحترام من

خادمكم المطيع

مذكرة تمهيدية

فى مشروع « حزب الفلاح المصرى » (The Egyptian Agrarian Party) لبيان المبررات الاجتماعيه والاقتصادية التى تدعو إلى الاسراع فى تأسيس الحزب والعمل على تنفيذ مبادئه المشروحه فى صلب هذا المشروع فى أقرب فرصة ممكنة .

***

أثبت العلامة « توماس روبرت ملتوس » الانجليزى أن الأنواع الحية ومنها الانسان ، تتزايد بالتوالد على نسبة رياضية ، وأن نسبة زيادتها على تلك الصورة الرياضية تقصرمعه أية بقعة من بقاع الأرض عن أن تعضد نسل الأحياء إذا استمرت زيادتها الرياضية دون حائل يقف تيار هذه الزيادة . ولا جرم أن هذه القاعدة تنطبق على الحيوانات فى حالتها الطبيعية وتنطبق على الانسان فى حالاته البدائية الوحشية ، أكثر مما تنطبق على الحيوانات فى حالة إيلافها ، أو على الانسان إذا لابسته حالات مدنية معينة : فالحيوانات فى حالتها الطبيعية تتوالد من غير أن تفكر فى تحديد النسل . فاذا زادت نسبة عددها الرياضية نسبة كبيرة سلطت عليها عوامل طبيعية ليس فى وسعها ان تدفعها بحال من الأحوال ، على الضد من الحيوانات فى حالة الايلاف ، فان زيادتها راجعة إلى ارادة الانسان . وكذلك تحديد أنسالها ومستولداتها ، بيد أنها محمية من طوارىء الطبيعة بعناية الارادة البشرية . فاذا رجعنا إلى الانسان فى حالته البدائية ، وجدنا أنه لايخرج عن حكم الطبيعة العامة . فانه إذا تناسل وكثر نسله وزادت نسبته الرياضية فى عدد الأفراد ، سلطت عليه من الطبيعة مهلكات تقف زيادة أفراده عند حد محدود . وهذا على الضد من الانسان لابسته المدنية . فانه يستطيع أن يدفع عوامل الطبيعة بوسائل صناعية ، وفى مستطاعه أن يسود على الطبيعة وعلى قواسرها ، فيصبح سيدا بعد أن كان مسودا . بل إنه يستطيع أن ينقذ من الموت والفناء أفرادا من نوعه كتبت عليهم الطبيعة آية الموت ، ان تركوا بلا عناية من علاج أو وسائل من الوقاية .

أضف إلى ذلك أن الطبيعة لاترحم ولاتشفق . فى حين أن من أخص صفات الانسان الشفقة والرحمة . والطبيعة تدفع الأحياء إلى الاحتفاظ بالنوع ، كما تدفع الفرد إلى الاحتفاظ

بالذات . ولكنها فى الوقت ذاته لاتعمل على حماية النوع أو وقاية الفرد إلا بقدرما تهيء للنوع أو للفردمن فرص البقاء. فهى تسرف فى الانتاج من ناحية ، ثم تسرف فى الضياع والبذل من ناحية أخرى . وهى بقدر ماتسرف فى التنويع تضن بالابتكار . لهذا تجد أن الصور المبتكرة ، وهى غالبا الصور التى تتغلب فى التناحر على الحياة قليلة جهد القلة ، وأن الطبيعة تضن بها . فهى فى هذه الناحية شحيحة بخيلة ، فى حين أنها إذا أنتجت رمت عالم الحياة بالملايين . وإذا أفنت سلبته الملايين ، وهى فى التنويع لايبلغ إسرافها حدولا يقف عند غاية . فليس يوجد فى العالم شجرتان أو حيوانان أو إنسانان ، كلا بل زهرتان أو ورقتان ، هما صنوان ، لاتغاير فيهما ولا تباين بينهما

إذا وعينا هذه المبادىء خرجنا منها بنتيجة لايجب علينا أن نتغافل عنها. فشعوب الأرض قاطبة تباهى اليوم بكثرتها والطبيعة تجود عليها بالافراد مسرفة إسرافها المعروف . والحضارة من وراء ذلك تزيد إسراف الطبيعة فى الانتاج . فلا مجاعات اليوم ولا أوبئة ولا وفيات بين الناس بالنسب المروعة التى حفظتها الاحصائيات خلال قرن ماض من الزمان على ما كان خلال ذلك القرن من رقى بقياسا بما سبقه من القرون . ناهيك بأن كثيرا من الامراض الوبائية المفنية كالزهرى والملاريا والانيميا والكوليرا مثلا ، قد أصبحت من أسهل الامراض علاجا أو وقاية . فاذا أضفت الى ذلك طرق الوقاية من كثير من الامراض الخبيثة ، عرفت إلى أى حد أيد الانسان باستكشافاته اسراف الطبيعة فى الانتاج . فاذا تذكرت ان الانسان ان كان قد ساعد اسراف الطبيعة فى الانتاج ، فانه قد ازادها شحا فى الابتكار وضنا به ، خرجت من ذلك بنتيجة كبرى . ذلك لان ابتكار الطبيعه انما يكون من مجموع الافراد الذين يقدر لهم البقاء، بعد أن تغربل قواسر الطبيعة وأعاصيرها الناتج من الافراد فتذهب بالأكثرية إلى الفناء وتبقى على مايصلح للبقاء . فى حين أن استكشافات الانسان ووسائله قد عمدت إلى الحد من قوة الطبيعة الابتكارية بان هيأت فرص البقاء لعدد أكثر مما تريد الطبيعة أن يبقى فيها . وبهنا تجد أن الطبيعة ، بمساعدة الانسان ، قد زاد اسرافها فى الانتاج وقل ابتكارها للافراد أو السلالات الممتازة . وهذه حالة كما أوجدها الانسان ، يجب على الانسان أن يبحث عن علاج لها ، يروح به عن مدنيته ويخفف وطأة الفوضى والاضطراب ، ويحد به من بواعث القلق الشديد البادية فى جبين هذا العصر

والدليل الثابت على هذا زيادة عدد النوع الانسانى خلال أربعة القرون الفارطة زيادة اذا قسنا نسبتها بنسبة زيادته خلال القرون الوسطى ، أو القرون المظلمة كما يسمونها ، لما وسعنا إلا أن نرتاع وأن نشك فى صلاحية الوسائل المدنية ، على رقيها وعظمتها ، لان تكون سنادة ترتكز عليها الحياة الانسانية ، مشبعة كل مطامعها من السعادة والطمأنينة . والمثل البسيط على هذا أن قارة كالقارة الامريكية استعمرت فى أقل من خمسة قرون وازدحمت بالنوع البشرى على قلة وسائل الوقاية والحروب الدائمة والثورات الجتاحة والمجاعات المدمرة . وكذلك لديك اوستراليا مثل حى على هذا . وكلما ازداد تسود الانسان على الطبيعة ازداد اسرافها فى الانتاج وقل ابتكارها . وفى هذا ينحصر السبب فى مايبدو على جبين هذا العصر من بواعث القلق والشعور باقتراب الفورات الفجائية والاحساس العميق بان نظام المدنية الحديثة لابد منهار وانه لابد من أن يتبدل الانسان بهذا النظام نظاماً آخر أقرب إلى حاجته .

فالطبيعة مطلقة من قيود الاستكشافات الانسانية وعوامل الوقاية ، تذهب بكل مالا يصلح للبقاء من الافراد ، ولاتبقى الا على الأصلح والاكثر انتاجاً والاشد مقاومة والاصفى عنصراً والامتن تكويناً والاعمق تفكيراً والاجمل والاذكى والأعقل . فلما تدخلت العوامل الانسانية وزاد بها اسراف الطبيعة فى الانتاج قلت مادة الانتخاب امام الطبيعة ، بل قيدسيرها بقيود حديدية من ارادة الانسان واستكشافاته ومأعرف من طرق الوقاية ، فقل ابتكارها . وخرج من مجموع ذلك نوع بشرى مصطنع تزيد فيه نسبة الطالحين طبيعيا واجتماعيا بنسبة ماهيء للطبيعة من فرص الاسراف فى الانتاج والشح فى الابتكار . وبقدر مايكون من أثر هذه الحالات فى مجتمع تكون نسبة التدهور والانحطاط التى لايدل عليها من شيء بقدر ماتدل ظواهر القلق والاضطراب البادية فى حركاته وتطوراته واتجاهات أفكاره الراجعة لدى الواقع إلى مشاعر واحساسات اخفى من أن تظهرنا أو نكتنهها بحال من الاحوال . وبقدر مايزيد من اسراف الطبيعة فى الانتاج ، تكون نسبة التأثير على العناصر العليا فى المجتمع . فان اسراف الطبيعة مقرونا بعوامل الوقاية والحماية للافراد غير الصالحين طبيعيا واجتماعيا ، يحدث صورة من التطفل الاجتماعى ، هى أنكى ماصادف الجماعات الانسانية من الكوارث خلال كل الازمان .

ولا ينبغي لنا أن ننسى أن الأجسام العضوية اشبه شيء ببناء الاجتماع ، وحالاتها الحيوية أصلح ما يتخذ دعامة للبحث الاجتماعي . فالميكروبات مثلا ، لا بد من أن تحدث حولها وسطا وبيئة يلائمان حياتها ومطاليب وجودها . فانك اذا لقحت كتلة من الجيلاتين بنوع من الميكروبات ، فلا تلبث الا قليلا حتى تلحظ أن جزءاً من هذه الكتلة قد تغاير تغايرا كيماويا خاصا بسبب فعل الميكروب نفسه ، اذ يخلق من حوله بيئة تكافىء بين حاجات حياته وضرورات وجوده . فاذا طبقت هذه الحالة على الاجتماع الفيت أن جماعات المدنية الحديثة ، كجماعات المتوحشين والهمج ، لم تخرج عن حكم هذه القاعدة . فان انقلاب الحالة الاجتماعية في اوروبا في أواخر القرن الثامن عشر ، وابتداء عصر الصناعة الانتاجية ، قد خلق بيئة جديدة مخالفة تمام المخالفة للبيئات التي حفت بالجماعات في القرون الوسطى . وهكذا تخلق الجماعات البيئة ، حتى اذا استقرت البيئة على نظام ثابت ، أخذت البيئة ذاتها تؤثر في الجماعات تأثيراً تجده في كل الحالات رهنا على طبيعة البيئة ذاتها . فالميكروبات ان أحدثت في المادة الجيلاتينية التي ذكرناها ، بداية ذي بدء ، جوا وبيئة تلائمانها ، فان تكاثر الميكروبات الى حد كبير يبعث في البيئة الطبيعية أثراً يقضي على حياتها . على حياة الجماعة كلا وافرادا . وهذا الذي الواقع هو السر في قيام المدنيات ثم اضمحلالها وسقوطها . فاذا قست حالات الاجتماع على حالات الحياة العضوية ، أمكنك أن تعرف الى أي حد تذهب مساوىء الاسراف في انتاج الافراد ، من غير أية موازنة بين حاجات الجماعة ، وضن الطبيعة بالابتكار .

ليست طبقات الجمعية المشتركة كلها على نسبة واحدة من القوة . فان الطبقات تختلف اختلافا كبيرا من حيث القدرة والكفاية . ومما لا ريبة فيه أن غير ذوي الكفايات أو كما يقول الاجتماعيون — الطالحون اجتماعيا — وهم النسبة الكبرى ممن تسرف الطبيعة في انتاجهم ويسرف الانسان في حمايتهم من الطبيعة — يحدثون من حولهم بيئة خاصة لا يستطيعون أن يعيشوا في غيرها لانها تلائم طبائعهم وتوافق مشاربهم ، بل لا نكون مغالين اذا قلنا إن البيئة التي يخلقها غير ذوي الكفايات من حولهم ، عامل ذو شأن في تبديد قوى العناصر العاملة المنتجة في المجتمع . ومتى استقرت البيئة على شكل ثابت ، أخذت من ثم في التأثير في كل من استنشم ريحها واندمج في طبيعتها فتصبح

نظاما ثابتا ، لا لانه مفيد مساير لمثل النوع العليا ، ولا لانه مساعد للطبيعة على الابتكار ، ولا لأنه نظام طبيعى ثابت ، ولا لانه خطوة من خطى النشوء الطبيعى ، لا لشيء من هذا ، بل لانه مرتكز على عنصر غالب فى المجتمع ، هو العنصر الذى يخلقه اسراف الطبيعة فى الانتاج واسراف الانسان فى وقايته من قوة الطبيعة الانتخابية التى تهيء لها فى النهاية سبيل الابتكار

وليس لنا مع هذا أن ننسى ان فى المجتمع الحديث نزعة الى التطفل هى نتاج لجماع هذه الحالات . انظر فى العالم العضوى وتأمل قليلا من مختلف صور التطفل الكامنة فيه والظاهرة ، تجد أن الدويبات العالقة بالاجسام الحية والنباتات النامية على جذوع الأشجار الكبيرة ، وقد التفت فروعها على أغصان تلك الشجرة بما يكاد يفنيها ويميتها ، اذا تأملت من هذه الحالات وأمثالها ، أيقنت بان البيئة التى يخلقها الاسراف فى الانتاج مع تحديد نسبة الفناء بما يخالف مطالب الطبيعة ، تقوى فى المجتمع نزعة التطفل

أنظر من حولك فى نواحى المجتمع الحافلة بك واستغرق ساعة فى التفكير من حال أولئك الذين يسخرون للذاتهم واهوائهم أقوى عناصر الاجتماع ليبددوا جهود تلك العناصر تبديداً لا يعود إلا بنتيجة واحدة هى تقوية بيئة التطفل فى جسم المجتمع ، فانك تصل إلى النتيجة المحتومة . فان غير ذوى الكفايات ممن تسرف الطبيعة فى انتاجهم ويسرف الانسان فى حمايتهم ـ على الرغم من أنهم يعيشون متطفلين على عاتق أقوى العناصر المنتجة فى الاجتماع ، ـ ممن تضن الطبيعة بهم كل ضن ـ فانهم يخلقون من حولهم تلك البيئة الفاسدة التى لا يقتصر تأثيرها على أنفسهم ، بل يتعدى إلى قتل المواهب العامة . لأن كل فرد يجد فى الحياة طريقاً يكفل له العيش متطفلا مع غيره من الناس ، ينزع إلى البطالة والكسل ، ويقع العبء إذ ذاك على كاهل تلك العناصر التى يعيش من نتاج جهدها مجموع الذين تسرف الطبيعة فى قذف الحياة بهم ، ومن هم حولهم ممن يعيشون عيش التطفل على عواتق غيرهم ومن كد غيرهم : وليس لهذه الحال إلا نتيجة واحدة : مؤداها أن أضعف عناصر المجتمع تعيش متطفلة على أقوى العناصر . وكلما زادت العناصر المتطفلة ، قلت العناصر المنتجة . وهناك تؤثر البيئة أثرها المحتوم فى القضاء على صور المدنية وعلى قوى المجتمع

كل هذا وأمثاله قبض على خناق الطبيعة : وصد لنواميس الكون عن الانبعاث

فى وجهتها الصحيحة . ولا ينتج الا أمرا واحدا . ينتج الفورات الفجائية وثورات الهدم والتحطيم . والحقيقة أن الواجب يقضى بان تضحى العناصر الضعيفة المتطفلة فى المجتمع فى سبيل تقوية العناصر المنتجة الضاربة فى سبيل الارتقاء مدنيا وطبيعيا .

أسرفت الطبيعة فى الانتاج خلال كل العصور، ولكنها كذلك أسرفت فى الهلاك والافناء لتستخلص من الباقى - باقى الطرح بين الناتج والفانى - مادة للانتخاب تساعدها على الابتكار بابتكار الكفايات النادرة الحدوث فى الطبيعة. فلما تدخل الانسان باستكشافاته وهى الذين كان من الواجب أن تفنيهم الطبيعة ، تبدلت الحال كل مبدل.

كان المجتمع القديم ولا شبهة أقرب لمطالب الطبيعة من المجتمع الحديث. كان مجتمع هو بمثابة معمل طبيعى تنتخب فيه الطبيعة ماتريد وتتخذ منه ما تريد مادة لابتكاراتها التى تضن بها ضناً كما قدمنا . اما فى المجتمع الحديث فقد تعطل انتخاب الطبيعة وزادت الطبيعة ضناً بالابتكار . من هنا واجهتنا المشكلات الاجتماعية الكبرى التى تهدد المدنية الحديثة . ولا جرم ان المجتمع المصرى قد أصابه من هذه العوامل نصيب سيزداد على كر الاعوام . فاذا تبصرنا فى الحالات القائمة من حولنا استطعنا ان نتقذ بوسائل عملية مجتمعنا المصرى من كثير مما سوف يواجه جماعات الغرب وامريكا من عوامل القلق والفوضى والاضطراب .

يقول الكاتب العظيم «هنرى جيمس» إن تعليم شعوب يفرض عليهم عيش الفقر المدقع مع الطمع فى استقرار الحالة الاجتماعية ، هو مطلب بمثابة بناء هرم يرتكز فى الارض على قمته لا على قاعدته . وهذا قول حق من جميع الوجوه

فالمصريون احدى سلالات النوع البشرى ، تلزمهم الطبيعة الاسراف فى الانتاج، وتلزمهم، بضرورة ما تغرس فيهم من حب حفظ النوع والفرد ، أن يلجأوا إلى طرق الوقاية لكى يفوزوا ببقاء اكبر عدد من الافراد الناتجة . فاذا اضفنا الى ذلك مسايراتنا لمطاليب المدنية ونشر التعليم بدرجاته ، ثم طلبنا أن تظل الحالة الاجتماعية مستقرة هذا الاستقرار العجيب الذى لا يهزه الا قليل من عوامل القلق السياسى ، وكتبنا على هذا الشعب أو على الاغلبية العظمى منه عيش الفقر المدقع والحاجة الماسة واستبداد المموليين بالفلاح ، ذراع مصر الايمن، كنا كمن يحاول بناء هرم يرتكز على قمته لا على قاعدته .

لاجرم أن هذه المشكلة هي أكبر المشكلات التي سوف تواجهنا في المستقبل القريب، فان أمر العناية بالتعليم قد تضاعف وازداد أثره، والعناية بالشؤون الصحية قد صرف فيه من الجهد مالا يقل عن أمر عنايتنا بالتعليم . وعلى الجملة اصبحنا اكثر اهتماما بكل شؤون الحياة مما كنا خلال عهد قريب . ولدينا امة اليابان مثل حي على أن الامم لاتحتاج الى زمان طويل لتبلغ اسمى مدارج الرقي والعظمة ، وانما تحتاج إلى جهد وتحتاج إلى عزيمة. ونحن لا ينقصنا شيء من هذا ، فالثروة فائضة، والعزيمة بالغة والجهد مبذول . اذن فنحن على ابواب الازمة الاجتماعية . ان لم تكن قد اخذنا تدلف بقدمنا في لججها العاتية الشديدة .

اذا اضفنا إلى الاعتبارات السابقة أن نظامنا الاجتماعي من شأنه أن يزيد الغني غنى والفقير فقراً ، وان المضي على الخضوع لهذا النظام من شأنه أن يجعل الطبيعة عنصرا قويا في تكوين الاسباب التي تفضي إلى الازمات الاجتماعية الكبرى، شعرنا إلى أي حد بلغت بنا الحاجة الى تكوين حزب اجتماعي يكون أساس الاصلاح فيه فلاح مصر باعتباريه: أنه الاكثرية العظمى : وأنه اصل الثروة . كما انه لايجب أن يغيب عن اذهاننا أن اهمال تكوينه سوف يكون عما قريب أساس القلق الاجتماعي ، لاعن قصد ، ولكن عن ضرورات سوف تكون في أفق حياتنا الاجتماعية

قيل بحق ان تعليم الفلسفة لايخرج فلاسفة . غير أن هذا لايجب ان يكون حائلا دون تلقين الفلسفة . بل ان هذه الحقيقة تجعل التحوط في تلقين الفلسفة عامل في اخراج فئة من الناس تحيط بشؤون الفكر الانساني وتطوراته على قدر المستطاع . كذلك نقول بان تعليم الفلاح لايخرج مصلحين دائما . غير أن هذا لايجب ان يصرفنا عن تعليمه. بل يجب أن يجعلنا نتحوط في تعليمه على المثل العليا ومسايرة لاغراض الطبيعة وآثارها في المجتمعات الحية ، وعلى الاخص المجتمعات العاقلة الشاعرة ، وهي المجتمعات الانسانية

وقيل أيضا إن الانقلابات الاجتماعية نتيجة تخالطبين خاصتين نفسيتين هما خاصتا الاعتقاد والانفعال . فاذا أردنا أن نطبق هذه الحقيقة على المجتمع المصري ، بان لنا مقدار الخطر الذي سوف يحيق بمجتمعنا اذا لم نبادر بان تتخذ النظامات ما يعدل عمل الطبيعة المطلقة في الجماعات البدائية

لا جرم أن اعتقاد المصريين بحقهم فى الحياة أخذ يزداد . وكذلك احساسهم بالاستقلال فى الرأى واحترام الذات ، وان لهم فى الحياة ما لبقية الناس.فاذا ثبت هذا الاعتقاد ، وهو لاشك من اجد ما يجب أن نسعى لغرسه فى نفوس المصريين ، ثم استمر الحال على ما جرى من تحكم الطبقات وعدم الاعتراف بحق الفلاح فى الحياة على نسبة ارقى واوسع بحيث ترضى هذه النسبة مشاعره ومعتقداته ، تكون بجانب هذه المشاعر والمعتقدات انفعال يزداد اثره وهنا على وهن وحالا بعد حال، حتى إذا بلغ أشده كان الانفجار وكانت الفورات الفجائية .ولا تسائل العقل بعد هذا فى شيء ؛ بل سائل المشاعر الهوجاء وسائل النزعات المتوثبة وسائل النزوات المشبوبة ، ان كنت تحظى بجواب

...

هذه اتجاهات أكاد ألمس نتائجها لمسا . ولقد زكت النزعة الى هذه الاتجاهات القلاقل السياسية وزاد الشعور بالذاتية نظام الحكم الدستورى الذى يجب أن ندافع عنه بكل غال من حطام ونفس ، باعتباره المعهد الأساسى للتربية القومية . لهذا وجب علينا أن نبحث فى أمثل الطرق والوسائل التى تحمينا الانقلابات الفجائية والتى تصد عنا سيل الأفكار المتطرفة الحديثة التى تفيض علينا بها دوليات أوربا الشيوعية ،التى نعتقد أنها لم تنبع إلا فى مجتمعات لم تحمها الوسائل العملية من أحكام الطبيعة الصارمة، ولم يفكر مصلحوها فى وضع نماذجها الاجتماعية على قواعد تساير أحكام الطبيعة على نسبة كافية

وانى لشديد الاقتناع بان تنفيذ مشروع حزب الفلاح المصرى على القواعد التى وضعتها فى مبادئه كفيلة بأن تحمينا هذه الشرور وانها كافية لأن تحل نظامنا محل ما تريد الطبيعة أن يكون من بقاء الاصلح والامثل ، لافى الطبيعة ، بل فى المجتمع

لا يجب بعد الآن أن يكون هناك تفضيل للاسرة و لا للجاه ولا للمال، بل للكفاءة. بذلك تحل سلطة الانسان محل الطبيعة وتسود الكفايات العليا فتنوء بضغط شديد على الدنايا الاجتماعية وعلى الطالحين اجتماعيا وعلى المتطفلين، فيحفظ التوازن ويبقى جسم المجتمع سليما من أمراض الفوضى والاضطراب. ذلك لأنى اعتقد أنه تحريك الجماهير

وتوثبهم إلى الفورات الفجائية ، لن يكون إلا تحت تأثير كفايات عليا ، صدها النظام الاجتماعي عن الانبعاث فى طريقها المرسوم ، والذى هو حقها الطبيعى غير منازعة فيه . ذلك لأن الكفايات ككل شيء فى الوجود اذا زاد الضغط عليها انقلبت الى ضد ما هو مقصود منها .

هذا إذا أردنا أن نكون أمة سليمة من الأمراض الاجتماعية ، بل ومن عدوى الأمراض الشيوعية على الأخص . ولا جرم أن هذا الأساس هو اصلح الاسس التى تمهد لنا سبيل تشييد حضارة تسد مطامعنا وتكفى حاجاتنا ، باعتبارنا أمة فتية من أمم الأرض ، وباعتبارنا قسما صالحاً من النوع البشرى ؟

* * *

مذكرة بيانية

مقدمة لصاحب الدولة النحاس باشا رئيس الوفد المصرى

ملحقة بمشروع تأسيس « حزب الفلاح المصرى »

The Egyptian Agrarain Party

* * *

ياصاحب الدولة ؛ ويا زعيم البلاد .

الأحزاب السياسية وشيكة البقاء قصيرة الاعمار ، اذا قيس بقاؤها باعمار الامم . ومثلها فى هذه الناحية كمثل عمر الفرد بالقياس الى الحزب . فالفرد أقصر من الحزب عمراً ، والحزب أقصر من الأمة عمراً . وأقصر الأحزاب أعماراً هى الأحزاب السياسية ، واطول الأحزاب أعماراً هى الأحزاب الاجتماعية .

وليس من شك بجانب هذا أن من الأحزاب ما يحتفظ باسمه دهوراً وأحقاباً . ولكن الحقيقة أن الحزب يكون قد انحل وأعيد تكوينه خلال هذه المدة مرات عديدة ، لابساً أثواباً مختلفة متغايرة تلائم ما يلابسه من ظروف الحالات ومقتضيات الحياة على تشعب مناحيها واختلاف صورها . فلا يبقى إذن من الحزب إلا الاسم دون الجسم والكيان . والمثل الأكبر على هذا ثلاثة الأحزاب البريطانية . فما من شك مطلقاً فى أن حزب المحافظين وحزب الأحرار قد احتفظ كلاهما باسمه . ولكن من ذا الذى

يقول بأن حزب المحافظين اليوم هو بنفسه حزب المحافظين فى عصر جيمس الاول او عصر وليم بت ؟ بل من ذا الذى يقول بان حزب الاحرار اليوم هو بنفسه حزب الاحرار فى عصر قريب ، كعصر غلادستون أو اسكويث ؟ والسبب فى هذا أن ضغط الحوادث السياسية على شدته متنوع الصور خاضع لمقتضيات الارادة الانسانية . على الضد من ضغط الحوادث الاجتماعية فانها تابعة لخط من النشوء الطبيعى يجعل ضغط حوادثها ، مهما كان شديدا ، فيه من صفة البقاء والاستقرار قدر كبير ، لانها على الاقل بعيدة عن التأثر بارادة الافراد أو الاحزاب : وفرق بين شىء يتاثر بالأهواء الانسانية وآخر لا يخضع إلا للقوات الطبيعة ونواميسها . وهذا مثل حزب العمال الانجليزى ، فهو عندى أكثر الاحزاب بقاء ، وأكرمها طبيعة وأقواها نظاما وارضاها لطبيعة المقتضيات ، وأكثرها تمشيا مع الطبيعة البشرية . أما السبب فى هذا فينحصر فى أمر بسيط جهد البساطة . هو أن للحزب جانبين . الأول سياسى يجمع فيه مزيجاً من السياسة التقليدية للامبراطورية البريطانية بمبادىء تلزمه إياها طبيعة تكوينه المدنى ، والثانى اجتماعى صرف ، يخضع فيه لمقتضيات طبيعة الاجتماع الانسانى . ولاشبهة مطلقاً فى أن قوة الحزب تستمد من هذا التكون المزجى العجيب . إذ تركن ناحيته المتراوحة غير الثابتة ـ أى الناحية السياسية الصرفة ـ على ناحيته الثابتة غير المتراوحة ـ أى الناحية الاجتماعية الصرفة . هذا فى الحقيقة هو السر فى قوة حزب العمال ، بل السر فى أنه عما قريب سوف يكون أقوى الاحزاب البريطانية ، إن لم يصبح أقوى أحزاب العالم أجمع .

أما انه سوف يكون أقوى الأحزاب البريطانية ، فهذ أمر لا يشك فيه انجليزى اليوم أما من حيث قوته العالمية ، فذلك لأنه حزب جمع بين ثلاثة مبادىء . من أغرب أمور الدنيا أن يجمعها فى كيانه حزب واحد ، فهو كما يأتى :

(١) اشتراكية بلا شيوعية

(٢) فاشستية بلا استبداد

(٣) ديمقراطية بلا فوضى

فهل يمكن أن ننتفع فى مصر من مثل هذا النظام ؟ لا أظن أن هذا مستحيل إذا استطعنا تنفيذ مشروع ، حزب الفلاح المصرى ، واتحينا فى تنفيذه قواعد النظام الانجلوسكسونى

ياصاحب الدولة

ليس فى العالم اليوم من ينكر إن الحضارة الانجلوسكسونية هى أثبت الحضارات نظاما وأوسعها حريات وأليفها كيانا، مع أنها أقوى الحضارات تماسكا. ملكية، أقل حقوقا من جمهورية. ودستور، مستمد من روح الامة وتقاليدها، لامن ذهنية المشترعين. وقضاء، صار مضرب الأمثال فى احتذاء قواعد العدل. وصحافة هى أنزه ماعرف فوق ظهر الأرض. وجامعات، هى فى الحقيقة معاهد لاخراج رجال خصوا بالاستقلال فى الرأى والحرية والشجاعة. وسياسة دولية، ظلت منتصرة على أوربا مجتمعة خلال قرنين من الزمان. وسياسة استعمارية، اذاقتها بسياسة الفرنسويين - اكبر أمة ستعمارية اليوم بعد الانجليز - كانت النظام والعدل، بجانبه الفوضى والاستعباد والانحلال. حقائق، لايتشكك فيها اكبر المتريبين، ومفاخر لاينازع الانجلوسكسون فيها شعب من شعوب الارض قاطبة.

هذه مقدمة بسيطة نخرج منها بنتيجة كبرى.

يتكلم اللغة الانجليزية اليوم ثلث العالم المتكون على الاقل. فالهند واوستراليا وجنوب افريقيه وأمريكا وكندا كلها تتكلم اللسان الانجليزى وتنشر الآداب والثقافة الانجلوسكسونية. هذا الامر البسيط، بصرف النظر عن الحقائق العامة كتغلب العنصر الانجلوسكسونى فى العالم وبدء العنصر اللاتينى بالانحلال يجعلنا نعتقد أن للحضارة الانجلوسكسونية المستقبل فى العالم، وان الامم الناشئة، كالأمم السامية الحديثة بانتحال الحضارة الغربية ومنها مصر، اذا استطاعت أن تجارى تيار الحضارة الانجلوسكسونية الحديثة، واتبعتها على الاخص فى نظامها الحكومى والتعليمى، فازت بما قريب على امم اللاتين، ذلك لان الامم اللاتين تقاليد تصدها عن انتحال الحضارة الانجلوسكسونية، فى حين ان تقاليد الامم السامية القديمة قد تبلورت وتحجرت فلا تصدها عن انتحال حضارة المستقبل. وفى اعتقادى أن هذه الفرصة لايجب أن نضيعها بل يجب أن ننتهزها وان نعمل على تقويتها بنظامات تتشرب معها الامة روح هذه الحضارة، من غير ان نجعل الامة تحس بنفور خفى من هذه الحضارة من طريق المزج بين البرنامج الاجتماعى والبرنامج السياسى

ياصاحب الدولة

لانكران مطلقا فى أن هذه الوسيلة لاتصيرنا انجلوسكسونا بالطبع ، ولكنى ارجح كل ترجيح أن انتحاء اساليب التفكير الانجلوسكسونى فى تطبيق الديمقراطية وفهم مبادىء الحكم على القاعدة التى يفهمونها بها ، تمدنا بأكبر وسيلة نستطيع بها التغلب على العقبات التى تعترضنا فى تكوين حضارة جديدة على قواعد ثابتة،بل واعتقد أنها الوسيلة التى بها نستطيع التغلب على لاتين البحر الأبيض المتوسط ، فنحتفظ بمركز ممتاز بين امم الغرب ، شبيه بالمركز الذى حزناه بين امم الشرق . والذى يجب أن نعمل على الاحتفاظ به على الدوام.

ياصاحب الدولة

اعتقد أن القواعد التى قررتها فى هذه المذكرة هى القواعد التى يجب ان يقوم عليها عملنا كأساس للمستقبل،ولاشبهة مطلقا فى ان قيام الوفد المصرى بتنفيذ مشروع حزب الفلاح المصرى يجمع فى يد الوفد بين القوة السياسية والقوة الأجتماعية،ويخص مبادىء الوفد السياسية بصفة الاستمرار،وإن تناوبت من حولها عوامل السياسة فى ظرف من الظروف او تحت تأثير عوامل من الصعب تقديرها الآن .

إن الوفد المصرى هو الحزب الوحيد الذى يستطيع أن يضطلع بهذه المأمورية،بل هو الحزب الأجدر بان يمد يده لهذا المشروع بكل مساعدة مستطاعة. وهو بهذا يرجح الجمع بين البرنامج السياسى والبرنامج الاجتماعي . فيحوز فى السياسة المصرية خاصة والسياسة الدولية عامة نفس القدرة يختص بها حزب العمال الانجليزى

ياصاحب الدولة

هذا ماأرى فى المشروع ومزاياه ولاأظن الاانى فائز فى النهاية بتعضيدك وعطفك وكلى امل فى نجاح هذا المشروع الذى هو نجاح لمصر التى ضحيت من اجلها وسوف تضحى بكل مابين يديك من قوة وجهد وحطام

وتفضل ياصاحب الدولة بقبول احترامات

خادمكم المطيع

حزب الفلاح المصرى

The Egyptian Agrarain Party

مبادىء الحزب الاجتماعية والسياسية

شرحنا فيما بعد المبادىء الاجتماعية التى نرى أن الحزب يجب أن يقوم عليها لتكون أساسا ومبررا لتكوينه

أما فى الناحية السياسية فلا سياسة للحزب الا السياسة الوطنية أو الدولية التى تقر عليها

الهيأة الوفدية

على المبادىء القويمة التى بنيا المغفور له الزعيم الاكبر

سعد زغلول باشا

مبادىء الحزب الاجتماعية

(١) التسوية بين الناس فى فرص الحياة

تقضى الديمقراطية المعقولة بأن يتساوى الناس فى فرص الحياة كما يتساوون أمام القانون . كذلك تقضى الحرية الصحيحة بأن كل امرىء عليه وزر ما اكتسب وله فائدة ما كسب . فاذا سيطر هذا القانون الطبيعى على نظام الاجتماع فان كل فرد يجنى من الدنيا بقدر ما تؤهل به مواهبه وتنتهى كفاياته فى دائرة القواعد الطبيعية ويظل النظام الرأسمالى قائما على قواعد الحرية والآداب العامة

بهذا تتوفر أسباب المساواة فى اعطاء كل فرد من أفراد الجمعية فرصة مساوية أو مقاربة لما لغيره فى الحياة ، ويترك الجميع يرتعون فى فناء الحرية الواسع ، والكل يورثون النظام الاجتماعى القائم على نتيجة مواهب الفرد وكفاياته ، نواتج مجهودهم . وبذلك نضع نظاما تسود فيه المساواة النسبية المرتكزة على منتوج المواهب الفردية

وقضى على الوهم السائد في المساواة المطلقة التي هي لدى الواقع عبارة عن وهم صرف وخيال محض ، وتحتفظ بنظامنا الرأسمالي ليكون قاعدة الحياة الاقتصادية للبلاد ، على الحدود التي سوف يحدد بها في مبادىء الحزب

* * *

(٢) نشر التعليم العام وتهيئة فرصة التعليم العالي لأكبر مجموع من الامة

لاشبهة مطلقاً في أن أقوى سلاح يتسلح به الفرد في نظام المجتمع في العصر الحديث هو التعليم سواء كان علمياً أو فنياً أو صناعياً . كما أن طبيعة العصر الانتاجي الحديث قد أضعفت من سلاح المال ، بقدر ما كان لهذا السلاح من قوة في العصر البائد عصر الاقطاعات الذي ظل أثره قائماً في مصر الى عهد قريب . فاذا أردنا ان نضمن للناس فرصا متساوية في الحياة ، اضطررنا الى وضع نظام نستكثر فيه من الجامعات ودور الثقافة على اختلاف ضروبها ، بحيث يضمن النجباء في أبناء الأمة بصرف النظر عن مقدرة أسرهم المالية ، فرصة في التعليم يتساوون فيها مع أولاد أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة

وتنفيذا لهذا ووصولا للنتيجة المرغوب ، فيها يجب نشر التعليم العام على صورة تضمن اظهار مواهب الافراد في حال تعليمهم ، ليكون ذلك سلما لبلوغ النجباء منهم على اختلاف مراكزهم الاجتماعية ، إلى التعليم العالي

* * *

(٣) تحديد ملكية الارض الزراعية وزيادة نسبة صغار الملاك

لاجرم أن أكبر خطر يتعرض له شعب زراعي يسكن واديا محدوداً كوادي النيل، هو ترك مسألة الملكية من غير تحديد للكمية التي تملك . فان هذا من شأنه أن يزيد الغني غنى والفقير فقراً . بل ان هذا من أكبر العوامل التي تنقص من عدد صغار اصحاب رؤوس الاموال . وفي ذلك خطر كبير على النظام الاجتماعي يزعزع من قواعده ويهد من أساسه .

والمقترح أن تحدد الملكية في النهاية القصوى بخمسمائة فدان يملكها رأس عائلة وأولاده في حال حياته . وتحكم التوريث بعد الوفاة تصل من غير احتياج للقيام باعمال يشعر

معها الناس بعسف ، إلى هذه النتيجة . فن يملك الآن . . . ر . وفدان تقسم بعد وفاته على اثنين فيملك كل منهم . . . ٥ ثم تقسم على عشرة بعد وفاتهما وبهذا نصل إلى النتيجة المرغوب فيها من غير حاجة للالتجاء إلى عمل غير عادى أو نزع قهرى للاملاك .

وهذا الأمر يزيد من عدد صغار أصحاب الاطيان فيعم الرخاء و يزيد الناتج من الغلة بحكم الضرورة ويصبح فى البلاد رأس مال نقدى تنشأ به البنوك والشركات والمصانع والاساطيل التجارية وبقية المشروعات التى تفوقنا فيها الامم الاخرى .

وعندى ان تنفيذ هذا المبدأ أكبر عامل على استقرار الحالة الاجتماعية وضمان بقائها مستقرة أطول عصر ممكن فى المستقبل

***

(٤) انشاء المصانع والمعامل برؤوس أموال مصرية وشركات مصرية بحتة

إن تحديد ملكية الاطيان الزراعية من شأنه ان يزيد رأس المال النقدى فى يد الافراد . فاذا قام مشروع مصرى يؤسسه مصريون يحرم عليهم اشراك رؤوس أموال أجنبية فيه ، بل يكون كذلك مصر شركة مصرية بحتة . وهذا خلاف الشركات التى يؤسسها الاجانب والتى سنتكلم عنها فى المادة (٢٣)

***

(٥) الغاء الحروب والحض على كرهيتها

لا جرم أن الحروب من أكبر المصائب التى تصيب الامم . وعلى الرغم من أن الفكرة العلمية فى أساسها قد تغيرت بفضل مباحث العلماء فلم تصبح ضرورة اجتماعية طبيعية ، بل ثبت انها عبارة عن ارضاء شهوات ودوافع يمكن قمعها وكبتها فان اتجاه الدول العظمى لايزال يؤيد تبرير الحرب لهذا يدعو « حزب الفلاح المصرى » الى الغاء الحروب ، وعدم الاشتراك فيها الا للدفاع عن النفس من عدو مهاجم على اعتقاد ان الحروب منهكة للامم مبيدة للثروات مبددة لمخزون القوة الحيوية فى الشعوب

وحزب الفلاح المصرى مع هذا المبدأ يحترم كل المسؤليات التى ترتبط بها الامة ازاء اية امة من الامم .

(٦) غرس روح الاخاء الشعوبي بين الامم

الغاء الحروب لايكون الا بغرس روح الاخاء الشعوبي بين الأمم وعدم النزوع الى الشهوات التي تسبب الكراهية المتبادلة بين الجماعات، لهذا يعمل حزب الفلاح المصرى على توثيق عرى الصداقة بينه وبين امم العالم على اختلاف جنسياتها وعقائدها

٭
٭ ٭

(٧) محاربة المبادىء البلشفيه

تقوم الشيوعية والبلشفية على مبادىء خيالية ــ مساواة ــ اخاء ــ حرية ــ فالمساواة تنافى الحرية ، والحرية تقتضى المنافسة المشروعة بين الافراد ، فهى بذلك تنافى الاخاء على المعنى الشائع الذى يلوح به الشيوعيون للناس . اذن فهى اساس للفوضى الاجتماعية ودواء دلت التجاريب على انه غير ناجع فى شفاء الامراض الاجتماعية التى نشأت مع حلول العصر الانتاجى الحديث . لهذا يحاربها حزب الفلاح المصرى بكل قوة لانها تنافى مبادئه القائمة على اشتراك الناس فى فرص الحياة وتقوية مبادىء الفردية

(٨) وضع الجيش المصري (والاسطول المصرى عند انشائه) تحت تصرف عصبة الامم ، ليكون بمثابة جزء من البوليس الدولى تستخدمه عصبة الامم تحت اشراف القيادة المصرية فى تنفيذ قراراتها .

تظل عصبة الامم مسألة نظرية صرفة ويظل عهدها قانونا غير منفذ مالم تجد لديها من القوة ماتنفذ به قراراتها اذا عصتها امة من الامم المنضمة إلى عهدها . و مصر تفخر بانها أول أمة من أمم الارض تضع جيشها واسطولها تحت تصرف العصبة متحملة كل مشقة وتضحية ليكون بمثابة بوليس دولى يقر العدل فى نصابه كل ما اعوز الحق قوة تنصره

٭ ٭ ٭

(٩) العمل على اقناع اكبر عدد ممكن من الدول بمبدإ جعل جيوشها واساطيلها تحت تصرف عصبة الامم لتكون بمثابة بوليس دولى .

لاجرم أن قبول الدول لهذا المبدأ تحت ضغط شعوبها ، اذ تشعر بالحاجة إلى السلام ، اكبر عامل على انقاص الجيوش والاساطيل وأعظم ضامن للسلام واقرار

العدل فى نصابه . فاذا أمكن تنفيذ هذا المبدإ فلا تمضى سنوات قلائل حتى تصبح جيوش الدول عبارة عن بوليس دولى تحت تصرف عصبة الامم . وفى هذا تحقيق عملى لما كان يعد حلما وخيالا منذ عهد قريب

* * *

(١٠) تحسين الحالة الصحية بين الفلاحين والعمال

ثمانية ملايين مصرى مصابون بالبلهارسيا . والمصابون بالانكلستوما عدد لا يقل تقريبا للنفس عن هذا العدد . والمرضان من الامراض المتوطنة فى مصر ، وجدت آثارهما فى الجثث المحنطة منذ آلاف من السنين . واذا كانت لدينا احصائيات دقيقة كالاحصائيات التى ينظمها الامريكيون، لاستطعنا أن نعرف مقدار ما يضيع على البلاد من انتاج بتأثير هذه الامراض بما تستنزف من القوى وتقتل من النفوس . فن واجب حزب الفلاح المصرى ، ان يعمل بجد على حماية الفلاح بكل الطرق الممكنة من هذه الامراض وتشجيع الابحاث العلمية المؤدية الى القضاء على الاسباب المحدثة لها .

كذلك لايخفى أن نسبة وفيات الاطفال فى مصر مروعة ، لهذا يعمل حزب الفلاح المصرى على ارشاد الامهات الفلاحات إلى طرق العناية بتربية الاطفال ومطالبة الحكومة بتعيين اطباء اخصائيين فى امراض الاطفال فى كل مراكز القطر المصرى ، ولو احتاج الأمر إلى زيادة الضرائب بما يوازى سد النفقات الضرورية لجعل العيادات مجانية للمرضى من الاطفال

* * *

(١١) الزام أصحاب الاطيان ببناء مساكن تتوفر فيها الشروط الصحية للفلاحين وتنظيم القرى المملوكة لصغار الملاك على القواعد الصحية الحديثة :

ان من أعظم ما أصيبت به البلاد فى كل عهودها التاريخية أمران : المجاعات أولا ونسبة عدد الوفيات ثانيا : أما الآن فقد أمنت البلاد شر المجاعات ، ولانغالى اذا قلنا إن وقوع مجاعة فى مصر يكاد يكون فى حكم المستحيل الآن . أما نسبة عدد الوفيات فكبيرة وعلى الاخص عند حدوث الوافدات الوبائية : والسبب الاكبر فى ذلك شكل المعيشة والمساكن : فالحزب يرى من أول واجباته أن يعمل على سن قانون بناء العزب

المملوكة لكبار أصحاب الأطيان والقرى على نظام جديد تتوافر فيه الشروط الصحية على القواعد الحديثة . ويكون من المسائل الأساسية فى هذا التشريع فصل حظائر المواشى عن البيوت فصلا تاماً وبناء أفران عامة كالتى ترى فى المدن ومستحمات حديثة الطراز ومرشحات لمياه الشرب :

* * *

(١٢) التوسط بين أصحاب الاطيان والفلاحين فى ابان اشتداد الازمات المالية أو حدوث الظروف القاهرة لحفظ التوازن بين مصالح الطرفين .

فى البلاد الزراعية وعلى الأخص فى البلاد التى تكون علاقة المالك فيها بالزارع علاقة مؤجر ومستأجر بالمال لا علاقة المستأجر من الغلة ، تكثر حدوث الازمات المالية الشديدة فجأة وبلا انذار : هذا اذا تذكرنا أن ثمن المحصول الرئيسى فى بلادنا وهو القطن ، متوقف دائما على مقدار ما ينتج منه فى البلاد الاخرى . لهذا يجب أن يعنى الحزب بوضع نظام للتوسط بين أصحاب الأطيان والمستأجرين (والمزارعين) عند حدوث مثل هذه الازمات حماية لليد العاملة من الفقر المدقع الذى يعيش فى أكنافه أكبر مجموع من فلاحى مصر فى أغنى بقاعها انتاجا للمحصولات الزراعية . ومن أكبر طرق الاصلاح التى يجب أن تباشر بطريقة عملية تلقين الفلاح طرق الاقتصاد الزراعى على القواعد الحديثة .

* * *

(١٣) العمل على رفع أسعار المحاصيل الزراعية وإيجاد أسواق تروج فيها فى أنحاء العالم :

لرفع أسعار المحاصيل يجب العمل على الاكثار من نظام البنوك القروية برأس مال صغير وفوائد قانونية تحمى المزارع من يد التاجر فى إبان الأزمات المحلية التى تتكرر فى كل سنة على وجه التقريب ، ثم السعى فى إيجاد أسواق محلية أو خارجية لتصريفها بحيث يضمن فيها جزء من ربح التاجر الزائد عن المعقول للفلاح المنتج لها .

* * *

(١٤) حماية الاصناف العليا من القطن المصري باعتبارها الثروة الحقيقية للبلاد

تمتاز مصر بانتاج انواع خاصة من المحاصيل كالقطن السكلاريدى مثلا . فى

واجبات الحزب حماية هذه الاصناف بطرق عملية والعمل على الاكثار منها وتوليد اصنافها العليا احتفاظاً بثروة البلاد الحقيقية

***

(١٥) تهيئة المهاجر الزراعية للفلاحين وعلى الاخص السودان

ان زيادة عدد سكان مصر زيادة مطردة يجعل التفكير فى امر المهاجر من الآن أمراً ضرورياً . والواجب أن يغرس فى عقلية الفلاح المصرى من طريق التربية حب الاستعمار الانتاجى فى اقطار غير القطر المصرى تمهيداً لما سوف نواجهه من ازمة اجتماعية فى المستقبل القريب نحتاج فيها الى سن قوانين الهجرة الاجبارية ان لم نغرس فى نفسية الفلاح المصرى حب الاستعمار والانتاج فى بلاد زراعية اخرى . وعندى أن المهاجر نوعان مهاجر غير طبيعية نضطر لها عند الضرورة : كفلسطين وسوريا والعراق وشمال افريقية . ومهجر طبيعى واحد هو السودان

***

(١٦) المطالبة بحق مصر فى السودان كاملا باعتباره المهجر الطبيعى للفلاح المصري

بما ان السودان هو المهجر الطبيعى للفلاح المصرى ، فيجب الدفاع عن حقوق مصر فيه كاملة وبكل قوة من الوجهتين السياسية والمالية

***

(١٧) حماية ماء النيل والعمل على جعل سياسة الماء خاضعة لحكومة مصر وواقية بحاجة البلاد أولا .

بما ان وادى النيل كل لا ينفصل عملا بالقاعدة الطبيعية القائلة ، الانهار تصل والجبال تفصل ، — وبما ان ماء النيل ليس باقل ضرورة للمصرى فى السودان منه فى مصر ، اذن وجب العمل على حماية ماء النيل بكل الطرق المستطاعة مع جعل سياسته المائية خاضعة لحكومة مصر واقية بحاجة مصر اولا ، والسودان ثانياً .

***

(١٨) العمل على زيادة الانتاج من المناجم المصرية والسودانية

المناجم المصرية والسودانية كثيرة ومعادنها عظيمة الفائدة مضمون بها الثروة

الحقيقية ، فيجب العمل على زيادة الانتاج منها وعدم التصريح باحتكارها للاجانب ، إلا اذا اشتركت رؤس الاموال المصرية فيها بقدر كبير لا يقل عن ٥٠ فى المائة على كل حال

٭٭٭

(١٩) العمل على زيادة الثروة الاهلية بزيادة مصادرها الزراعية كزراعة الفواكه وغيرها

لايزال المصريون فى مجموعهم يتبعون القاعدة القديمة فى الانتاج بقدر الحاجة ، ومازاد عن حاجتهم فى المائة السنة الأخيرة جاء رغم انوفهم باصلاح طرق الرى وتثبيت قواعد الحكم، اى تأمين الانفس و تامين الحقوق ، وفى اتباع هذه القاعدة ضياع ثروة البلاد من اوجه كثيرة اهمها الاعتماد على محاصيل محدودة الموارد محدودة الاسواق لهذا يجب العمل على زيادة الثروة الاهلية بزيادة مصادرها الزراعية

٭٭٭

(٢٠) تعليم الفلاح طريقة تربية الدواجن باعتبارها جزءاً مفقوداً من ثروة البلاد

ان طريقة تربية الدواجن من الثروات الحقيقية لهذا يجب العمل على تعليم الفلاح بوسيلة علية عملية طريقة تربية الدواجن باعتبارها احدى مصادر الثروة الحقيقية فى قطر زراعى كالقطر المصرى

٭٭٭

(٢١) ادخال الطرق الفنية العلمية الحديثة فى الزراعة وتهيئة الظروف لانتفاع صغار الفلاحين بها

لاننكر أن الطرق التى يتبعها الفلاح المصرى فى الزراعة لاتفى بحاجات العصر الحديث، فيجب ادخال الطرق الفنية العلمية الحديثة فى الزراعة وتهيئة ظروفها بتكوين شركات قروية للقيام بمهام الزراعة كالحرث والضم والدراس وما الى ذلك تمهيداً للاقتصاد فى وقت الفلاح وحماية لمواشيه وقواه التى يستطيع صرفها فى سبيل العمل لمنتوجات أخرى

(٢٢) تحريم بيع الاراضى لغير المصريين الا لاجل محدود وسن قانون بذلك

هذه مسألة ذات أهمية كبرى . فكل البلاد الزراعية تحمى اراضيها من الانتقال الى أيدى الأجانب الا مصر. وحبا فى الانتفاع بجهود الاجانب وعدم حرمان مصر من أوجه الانتفاع برؤوس أموالهم، يعمل الحزب على سن قانون يحرم فيه على المصريين بيع اراضيهم لغير مصريين الا لاجل على القاعدة المتبعة فى انجلترا مثلا

***

(٢٣) سن قانون بتحريم انشاء الشركات الانتاجية وغيرها اذا لم يحتفظ بنصف أسهمها على الاقل للمصريين

يعمل الحزب على سن قانون يحرم فيه على الحكومة تصريح بأنشاء شركات اجنبية الا إذا احتفظ بنصف اسهمها لرؤوس الاموال المصرية و كذلك بيع امتيازات الشركات التى تنتهى آجالها وتنتقل للحكومة الى المصريين دون الاجانب بحيث تكون ملكا للمصريين دون غيرهم

***

(٢٤) ضم النقابات الزراعية الموجودة او التى توجد لسياسة الحزب وطنيا واجتماعياً

بما أن النقابات الزراعية تعمل لبعض الغايات التي يعمل لها الحزب ، فان من سياسة الحزب الاساسية ضم النقابات اليه وطنياً واجتماعيا لتوحد الجهود فى سبيل الصالح العام

***

(٢٥) تلقين الفلاح المصرى معنى الاستقلال في الرأى والشجاعة على ابدائه وطرق الدفاع عن حقوقه وتحبيب الحرية اليه وغرس مبادىء الفضيلة فى نفسه

يشعر الفلاح المصرى شعوراً عميقاً مؤلماً بأنه بمعزل عن الحكومة وأن الحكومة أكبر أعدائه . وهذا الشعور العميق يختفى وراء الظواهر التى تلوح على وجه الفلاح المصرى من حب الحكومة واحترامها . والسبب فى هذا يرجع إلى أمرين :

الاول : استبداد الحكومات التى توالى على مصر حكمها منذ أبعد الازمان . والثانى : معاملة الفلاح كأنه كائن بلا حقوق مدنية ، سواء أمن جانب الادارة المباشرة للحكومة ، أم من جانب أصحاب الاملاك الذين هم فى معاملتهم للفلاح أشبه بأصحاب القطائع فى العصور الوسطى . لهذا يجب السعى على ترقية مستوى الفلاح المصرى خلقيا ، ليستطيع الدفاع عن حقوقه الطبيعية ازاء الادارة وازاء أصحاب الاملاك

اللائحة الداخلية

أمرها متروك للجنة التأسيسية للنظر فى وضع قانونها وعلى الاخص فى المسائل الآتية :-

١ - الرياسة تكون دائما لرئيس الوفد المصرى

٢ - السكرتارية تكون دائمة لصاحب الاقتراح ومن بعده بالانتخاب لمدة خمس سنين

٣ - نظام الحزب

٤ - لجانه الفرعية .

٥ - قبول الاعضاء والتفريق بين اعضاء عاملين ، واعضاء منتسبين

٦ - اللجنة الادارية .

٧ - اللجنة التنفيذية .

٨ - مهمة السكرتارية .

٩ - أمانة الصندوق .

١٠ - تأسيس جريدة باسم « الفلاح »

اسماعيل مظهر

ملك يقرأ

الوصف لصورة تمثل حسناء تقرأ وقد أسندت كتابها الى جمجمة بشرية

يا حبذا التخييل والتصوير ... ملك تجلى يحتويه النور
ملك يضيء من الذكاء جبينه ... إن الجمال لبا الذكاء جدير
تخذ المهاد من الثرى ببساطة ... إن الثرى للناعمين وثير
وترى الأزاهر والغصون تحفه ... فكأنهن وسائد وستور
وعليه من برد الملاحة سابغ ... فالجسم بض والشباب غضير
أضفى على أكتافه متماوجا ... أنقى من الذهب الكريم شعور
وبوجنتيه تورد ونضير ... ولعله عجب الشباب يمور
وبناهديه نرى اللذاذة والهوى ... يتنا وجان : مدافع ومغير

* * *

إن الطبيعة في جمال صنيعها ... تبدى الطليق ولو بها تسخير
وتود إخفاء للمهارة شيمة ... إن التعمد بالجمال يجور
وكأنما تبدى بداهة شاعر ... إما ارتأى شيئاً بدى التعبير

* * *

يتلو كتاباً فيه آيات لها ... وقع جميل في النهى مشكور
تهب النفوس حياة روح فاضل ... وتبين من طرق الهدى وتشير
لكن يشاب سروره إما رأى ... عظما يجور به الفنا ويغير
ولربما قد كان رأس مليحة ... يزهو عليه الحسن وهو طرير
تلقى عليه الكتب وقت قراءة ... فاعجب لصرف الدهر كيف يدور

* * *

وكأنما الفنان يعلن مفصحاً ... إن الحياة ضلالة وغرور

الخرطوم : محمد عشرى الصديق

على السفود



والسفود نارٌ لو تلفتت ... بجاحمها حديداً ظُنّ شحما
ويشوي الصخر يتركه رماداً ... فكيف وقد رميتك فيه لحما؟

« مفتاح نفسه » وقفل نفسه !!!

— ٤ —

يسرنا أن يكون الأدباء والكتاب قد أخذ كل منهم يحاذر جهده أن يكون هو المغفل الذي يشهد للعقاد بانه أديب أو شاعر أو كاتب بعد أن مزقنا الاعلانات الكبيرة الملونة التي كانت ملصقة على هذا الحائط !!! وبعد أن أريناهم الحائط نفسه طيناً وحجراً ، لا أصباغا ولا ألوانا ، وما هو الا الحائط وما هو الا العقاد

ما من أديب الآن يجسر أن يظن في هذا العقاد — اذا أبعد في حسن الظن —

الا أنه كاتب جرائد يحسن صناعته ويستجمع آلاتها من الاطلاع المتنوع والترجمة ثم . . . ثم الصفاقة والمكابرة والكذب السياسى ، ثم الدجل العالى الصحافى !!!! وانتهى

اما العقاد الذى كان تحت الاعلانات . . . فهيهات هيهات وقد كان أول نحسه طرده من جريدة البلاغ لان هذه الجريدة الكبيرة كانت بمنزلتها تصبغ شبيه ، وتخفى عيه ، وتجعله (نابيه)

ومن العجيب ان رجالا من حكومة العراق كانوا من المخدوعين به أو فيه أو منه فأرادوا أخذه الى العراق مدرساً للآداب العربية وكادوا يحنونها على الأدب اغتراراً بتزويق الحائط ولكنهم تنبهوا أخيراً أن رأوا العقاد على السفود وتركوه لما به ولولا ذلك لما عرفوه إلا . . . إلا (بعد خراب البصرة) . . . .

ما هو هذا العنصر الكيميائى العجيب الذى يحول كاتب جرائد فى لحنه وعاميته وفساد ذوقه وسقم فهمه وضعف اطلاعه وتهافت ناحيتيه فى النظم والنثر — الى مدرس للآداب العربية العالية فى حكومة العراق ؟ أما إنه إن لم يكن عند هذه الحكومة حجر الفلاسفة لتجعل مثل العقاد مدرساً للآداب العربية بقوة الرجم الكيميائى — إن لم يكن عندها حجر السحر هذا فقد والله كادت تخرب البناء الذى تريد أن تقيمه بغلطتها فى حجر الزاوية

(مفتاح نفسه) كلمة وضعها العقاد عنوانا لمقال نشره فى المصور الصادر لذكرى المغفور له سعد باشا لان العقاد لا يزال ينفق من نقود أكاذيبه على سعد فهى تسد ناحية من إفلاسه الى زمن طويل على ما نظن . جعل عنوان المقالة هكذا : الزعيم الفقيد مفتاح نفسه (١) . فأولا مامعنى (الفقيد) وقد مضت سنتان كاملتان على موت سعد ؟ وثانيا مامعنى (مفتاح نفسه) على قواعد التركيب العربى ؟

لا وجه للأول الا الركاكة والحشو وطريقة الجرائد . ولا معنى للثانية الا اللصوصية المتمكنة من نفس العقاد والغالبة على طبعه ، فيعجز حتى عن كتابة عنوان فيلجأ الى سرقة هذه الاستعارة الانجليزية ونصها عندهم The key of his soul يريدون أنك تفتح أغلاق الرجل من جهات نبوغه بدرسه من جهات اعماله وأخلاقه فكان

---

(١) عدد ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٩ من المصور

صواب الترجمة — ان كان لابد من السرقة حتى فى عنوان !!!! — الزعيم بنفسه مفتاح نفسه ، أو هو نفسه مفتاح نفسه . لابد أن يتقدم العبارة الانجليزية توكيد أو بيان لتستقيم عربية المعنى . فقل الآن فى كاتب يسرق حتى العنوان ويعجز فيه أيضاً

قلنا مراراً ان هذا المغرور المتشاعر سقيم الفهم فى العربية وهذه هى علة تعلقه بكلمة الجديد وزعمه انه مجدد كما هى علة أمثاله من الأدباء الملفقين فى عربيتهم وأوربيتهم على السواء . وهى أيضاً السبب فى تجنب العقاد أن يفسر شيئاً من الأدب العربى كما هى السبب فى انحطاط شعره وكتابته . وقد رأينا له فى مجلة الجديد (١) كلمة من تخليطاته عن ابن الرومى «كاد يفسر» . . . . فيها أبياتاً لهذا الشاعر تخبط خبط العمياء لا العشواء قال ستره الله بإمكانه :

هل ترى هذا الغائص الذى تعلم السباحة ليغوص لا ليسبح !؟ أو ترى هذا الخائف المراقب الذى يمر بالماء فى الكوز مر الجانب ؟ هو ابن الرومى حيث يقول عن نفسه : (أى فى البحر)

وكيف ولو ألقيت فيه وصخرة لوافيت منه القعر أول راسب
ولم أتعلم قط من ذى سباحة سوى الغوص والمضعوف غير مغالب
فأيسر إشفاق من الماء اننى أمر به فى الكوز مر المجانب

انظر ايها القارىء . ابن الرومى يقول : لم أتعلم قط من ذى سباحة سوى الغوص فيكون معنى هذا أنه «تعلم السباحة» (وتعلمها) «ليغوص لا ليسبح» ؟ ان المعنى الذى يقصد اليه الشاعر هو هذا . أرى ذا السباحة يسبح ويغوص ولما كان الغوص أيسر العملين لانه لا يحتاج لتعلم الخبط فى الماء وشقه والنجاة منه ، فأنا قد تعلمت هذا وحده دون السباحة فلا ألقى مع صخرة فى الماء حتى اسبقها الى قعر البحر .

هذا هو المعنى الشعرى فاما ان كان «تعلم السباحة» ولكنه لم يتقنها فكأنما «تعلمها ليغوص لا ليسبح» فقد فسد بهذا الكلام الحس الشعرى الدقيق البديع ، وأصبح المعنى فى سخافته وركاكته يشبه شعر العقاد لا شعر ابن الرومى . . . .

وقال ستر الله عليه . وهل ترى ذلك المفهوم الذى يسره الى الطعام حتى فى الأحلام

---

(١) عدد ٢٩ يوليو سنة ١٩٢٩

و يأسف على أن يخادعه وهو فى المنام ؟ هو ابن الرومى بعينه وهو القائل :

ولقد منعت من المرافق كلها حتى منعت مرافق الأحلام
من ذاك أنى ما أرانى طاعما فى النوم او متعرضا لطعام
الا رأيت من الشقاء كأننى آتى وأكبح دونه بلجام

تأمل (قوى قوى) فى تفسير المغفل ثم فى شعر ابن الرومى وقل لى هل يصف ابن الرومى ، شراهته ونهمه وأسفه ، أم هو يبالغ بهذا الاسلوب البديع فى ضعة فقره وأنه لهذا الفقر محروم حتى مما هو غنى طبيعى للفقراء لان الفقير متى تعلقت نفسه بشهوة لا يجدها جاءته هذه الشهوة فى أحلامه من عمل نفسه وكان لا بد أن يمكنه وأن ينالها ، وذلك قانون طبيعى كما قرره العلم أخيراً فى أسباب الأحلام وتأويلها بالشهوات الممتنعة أو المنقمعة . ويعبرون عنها (بالمكبوتة) وهو خطأ وتسمح

فابن الرومى يصف شقاء جده وصفا دقيقا لا يحس به غبى مثل العقاد وفضلا عن أن سياق الشعر لا يؤتى المعنى الذى فهمه هذا الغبى فان هذا المعنى لن يتأتى الا اذا ثبت أن ابن الرومى كان طفيليا ، طفيليا بكل الاوصاف المأثورة عن هذه الطائفة وهذا لم يقل به أحد الا طفيل الأدب العقاد . ومن العجيب أن هذه الأبيات بقية تكاد تنطق بأن ابن الرومى لا يريد شراهة ولا طعاما ولكنه يقرر ابتلاءه بعثار الجد وأن ما يناله الناس بأهون سبيل وأيسر حركة من حركات العاطفة يحرمه هو ويبتلى فيه مع ذلك ، بالغرم والاغرام » . والعقاد مع هذا لا يفهم غرض الشاعر ، ألا يرى القراء أن هذه وحدها كافية فى الدلالة على بلادته وسقم فهمه كأن مادة مخه فى وعاء جمجمته قد كتب عليها صيدلى القدرة . . . لا يفهم من الظاهر . . . . . . ،

وقال غطاء الله . . . أما سخره من غيره فله فى أفانينه الكثيرة ومعانيه الغريبة ما يقوم بديوان كامل . وبراعته فيه طبقة لا تعلوها طبقة فى نوعها ويندر أن يدانيها قول الساحرين فى المشرق والمغرب فله فى أحدب كان يضايقه ويترصد له (كذا) أمام داره ليتطير منه :

قصرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمعا

تعالوا أيها القراء (وهاتوا معكم رجالا من العراق ...) لنضحك من هذا

العامي المتشاعر الذي جعل ابن الرومي عاميا مثله يجنح الى لغة ضعيفة في تأنيث (القفا) ويقول عن الأعم الشائع . ولو كان هذا الشعر على هذه الرواية لكان ضعيفا إذ قوله « صفعت قفاه مرة » يوهم أن هذه (المرة) كانت في زمن من قبل فيفسد الوصف ويضعف التركيب . ويجب حينئذ أن تكون العبارة : وكأنما ضعفت قفاه صفعة وأحس ثانية لها الخ

وقوله « فكأنه متربص أن يصفعا » من العامية التي لا يقبلها الا عامي مثل العقاد لان التربص ياعقاد الجرائد . . لا يكون الا في الانتظار الطويل الذي لا بد فيه من مكث و تلبث وبهذه الكلمة يفسد الوصف و يرجع هراء . فان من ينتظر أن يصفع غدا أو بعد ساعة لا يكون تلك حالة ولا يتجمع

ثم « وطال قذاله » ثالثة الأثافي . فان القذال جماع مؤخر الرأس مما تحت قصاص الشعر أي القفا . قيل الأحدب طويل القفا ؟ وهل اذا قصرت الأخادع وهي كناية عن قصر الرقبة يطول القفا ؟ أم ذاك الأحدب قد استعار قفا العقاد . . . فانخسفت رقبته ومع ذلك طال قذاله معجزة لجبار الذهن (١) . . . ما هذه البلادة في هذا الرجل ؟ خلصينا يا حكومة العراق من عاره على الأدب المصري وخذيه ولو مدرسا لتلاميذ الشهادة الابتدائية التي لايحمل غيرها وغير شهادة الجبع له باللصوصية الادبية العليا !!!! ثم البيتان بعد هذا كله ليسا لابن الرومي بل هما مرويان للامير مجير الدين بن تميم وتحرير الرواية هكذا :

قصرت اخادعه (وغاب) قذاله فكأنه (مترقب) أن يصفعا
(وكأنه)(قد ذاق أول صفعة) وأحس ثانية لها فتجمعا

هذه هي صفة الأحدب وهكذا يكون الشعر لاذلك التخليط العامي الثقيل المتناقض الذي لا نعجب ان لا يتنبه له (أديب قالصو) مثل عقاد الجرائد هذا .

---

١ ـ يصف الشاعر هذا الأحدب في صورته الجسمية برجل صفع على قفاه صفعة وأحس بيد صافعه ترتفع لتهوى بالصفعة الثانية على قفاه فتجمع أي رفع كتفيه حتى التصقا برأسه ليخفي قفاه فتقع الصفعة على الظهر دون القفا فاذا تجمع ليخفي قذاله فكيف يقال في هذه الحالة (طال قذاله) ولكن العقاد رجل بليد في الأدب العربية وابرائه البيانية على هذا الشكل دليل قاطع في أنه ضعيف الفهم والتمييز وأنه لا يصلح لشيء في الأدب العربي لانه لا هو مطلع ولا هو يفهم ولا هو يحقق وليس هو أكثر من لص عقله الثقل بسرعة وهمة على أوتوموبيل أو على عربة كارو أو على حمار أو على ظهره هو . . . .

أرأيت يا عقاد أنك لست هناك وأنك تدعي الأدب العربي سفاها وأنك في تمييزك غبي غبي غبي لا تساوي شيئا الا عند غبي غبي مثلك

***

والآن نقول انا تلقينا كتابا يتحدانا صاحبه !!!!! أن ننقد قصيدة للعقاد سماها (الخمرة الالهية) . ويستدل صاحب الكتاب على فضل العقاد بشهادة (مين ومين ومين) الخ الخ

نحن دائما لا نضرب الا ضربات قاضية ولا نعرف هذا النقد المخنث الذي نراه في الجرائد مما ليس فيه الا الثرثرة ولا تقدير له الا بقولهم أربعة أعمدة أو خمسة أعمدة .... ومن أجل ذلك سررنا بهذا الكتاب الذي تلقيناه وسنأتي بقصيدة العقاد هذه بيتا بيتا ليرى بعيني رأسه وبكل أعين الناس انه (فالصو) من اوله الى آخره وأنه لا يزيد عندنا عن حبة من القمح رأت حجر الطاحون ساكتا هادئا متواضعا فجاءت تظهر سفهها وطيشها وتتهمه بالبرودة والجمود وتقول له انها من قمح استراليا .... ثم ... ثم دار الحجر

في صفحة ٧٤ من يقظة الصباح !!! الخمر الالهية . على طريقة ابن الفارض » ماهي طريقة ابن الفارض وهل يعرفها العقاد على حقيقتها أم هو يقلد في هذا كما هو شأنه دائما ؟ الخمر في لغة السادة الصوفية « شراب المحبة الالهية الناشئة عن شهود آثار الاسماء الجمالية للحضرة العلية فانها توجب السكر والغيبة بالكلية عن جميع الاعيان الكونية »

افكذلك عاين العقاد وشرب وانجذب ! أم نظم قصيدته الملفقة في خمرة بار من البارات التي يتسكع فيها ، ويخرج منها بمخازيها ؟ سترى

ثم أن ابن الفارض ليس له في الخمر غير قصيدة واحدة هي الميمية المشهورة ثم أبيات افتتح بها تائيته الكبرى . وما عداهما فلم يذكرها الا في ثلاثة أو أربعة أبيات كل بيت في قصيدة وهذه ابيات من الميمية يتطهر بها القارىء قبل أن يخوض في رجس العقاد ويتنشق أنفاس السماء قبل أن يأخذه غبار الأرض

قال سلطان العاشقين قدس الله سره

شربنا على ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
ومن بين احشاء الدنان تصاعدت ... ولم يبق منها في الحقيقة إلا اسم

وان خطرت يوما على خاطر امرىء — أقامت به الأفراح وارتحل الهم
ولو نظر الندمان ختم إنائها — لأسكرهم من دونها ذلك الختم
ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت — لعادت اليه الروح وانتعش الجسم
ولو طرحوا فى فىء حائط كرمها — عليلا وقد أشفى لفارقه السقم
ولو خضبت من كاسها كف لامس — لما ضل فى ليل وفى يده النجم
يقولون لى صفها فانت بوصفها — خبير ، أجل عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ، ولطف ولا هوا — ونور ولا نار ، وروح ولا جسم

ويجب أن يرجع القارىء الى شرح الشيخ النابلسى لديوان ابن الفارض ليرى كيف يفسرون معانى الخمر وأوصافها ، بما أدار الله تعالى على البابهم من المعرفة او من الشوق والمحبة ، وهو أمر بينه وبين العقاد وامثاله ما بين الانسان والقرد

وقال « صاحب مرحاضه » . . . . .

(عقود الدوالى أنت والخمر أشباه — فلله ما أسنى حلاك وأحلاه)

ان أراد ان تأثير العناقيد يشبه تأثير الخمر على التوهم فهو من قول ابن الفارض : ولو طرحوا فى فىء حائط كرمها ، الخ وقد ورد فى هذا المعنى شعر كثير . وان أراد أن العناقيد هى والخمر اشباه فى الشكل أو المعنى فليس كذلك . والحقيقة انه سرق هذا المعنى من (حديث القمر) ولم يحسن سبكه وهو هناك بهذا النص : يتخيلها (أى الآمال) ابتسامات من السعادة كما يرى المدمن فى عناقيد الكرم سحابة من الخمر ، فانظر اين هذا الوصف من ذاك واين الدقة من الغموض ، وان الذباب ليقع على الزهر كما يقع النحل ليجنى العسل ، وانه ليطن فى الروض كما تغرد الطيور لترقيص قلوبها الصغيرة . ثم يطير عن الزهرة ذبابا كما وقع ، ويسكت ذبابا كما طن ، وكيفما نظرت اليه لاتراه الا ذبابا . ولكنه من الطير ولكنهم من الشعراء . . . . . (١)

وهذا هو وصف العقاد بعينه فى كل سرقاته . وقد طبع حديث القمر فى سنة ١٩١٢ قبل أن تظهر (يقظة الصباح) .

وقول العقاد (ما أسنى حلاك واحلاه) خطأ لان الحلى جمع حلية فيجب أن يعود

---

١ — اشارة الى قول العقاد « مرحاضه أفخر أثوابنا » وقد مر فى السفود الثالث وقد كان العرب يلقبون شعراءهم بكلمات قالوها فليكن لقب العقاد منذ الآن : صاحب مرحاضه . . . .

عليها الضمير مؤنثا فيقول واحلاها . وانظر اين معنى الحلاوة من معنى سنا الحلية الا أن يكون من قول نساء العامة لكل جميل (يا حلاوة)

(لآلىء قد نيطت بأسماط عسجد   قصدر الدوالى مشرق النحر تياه)

انظر كيف يصنع الشاعر الحقيقي فى مثل هذا . قال ابن الرومي فى وصف العنب

لوأنه ـ يبقى على الدهور   قرط آذان الحسان الحور

وقال فى البلح : فتشققت الأكف خلت فيها   لآلىء فى السلوك منظمات

فهو لا يجعلها لآلىء حتي يوطىء لها توطئة وقوله « صدر الدوالى مشرق النحر » كلام غير مستقيم لان العناقيد على صدر الدالية . فن أين لصدرها نحر ؟ (١)

كأن حبوب الكرم بين سلوكها   كؤوس من البلور قد صاغها الله

سرقه من ابن الرومي فى وصف العنب الرازقى (الأبيض الطويل)

ورازقى مخطف الخصور   كأنه مخازن البلور

يريد ابن الرومى الشبه فى خزن الضوء . وهو معنى جميل دقيق فجعلها العقاد (كؤوساً) وثرثر بقوله صاغها الله . ثم الحبوب لا تكون (بين) سلوك العناقيد بل السلوك هى التى تكون بين الحبوب لأنها تحملها اى ليست من معامل الزجاج . . . .

(كأنى أرى بالعين ضمن قشوره   سلافة جام سوف تجنى حباه)

هذا تكرار للبيت الاول ثم قوله (أرى بالعين) كلام سخيف فبماذا يرى ؟ وضمن قشوره كلمة عامية حقيقة بان تكون لغة كناس من كناسى الطرق . « وسوف

---

(١) الثابت عندنا ان العقاد بليد سقيم الفهم وخاصة فى فهم الشعر العربى وهذا يدل على انه غير ناضج لا بيانا ولا شاعرية . وتظن انه سرق ما جعله للكرم نحرا من قول ابن الرومى

بنت كرم تديرها ذات كرم   موقد النحر مثمر الأعناب

حصرم من زبرجد بين ينع   من يواقيت جمرها غير خابى

وظن لسوء فهمه ان الشاعر يصف الكرم (شجر العنب) والحقيقة ان ابن الرومى يريد بقوله (ذات كرم) الخ ان الخمر تديرها امرأة غنجة كثيرة الحلى كأنها فى حلاها شجرة كرم بعناقيدها فالحصرم فيها زبرجد والناضج يواقيت . وفى ديوان ابن الرومى (بين نبع) وهو تحريف وقع فيه النساخ والطابع ايضا

تجى حياه ، الطامة الكبرى ، فكيف « يرى بالعين سلافة » ثم يقول سوف تجى» وسوف للاجل البعيد . وهل يقال جنيت الخمر وحباه حشو لا موضع له البتة فكأنه قال أرى بالعين سلافة كأس سوف تجنى سلافة هذه الكأس . وانظر اى خلط هنا ؟

(ويسعى اليها الشاربون بمجلس يحف به عشب أثيث وأمواه)

اليها يعنى الى الخمر التى يراها بالعين سوف تجنى . . . فالرجل فى منام اذن ، وليس يرى بالعين لانه مع ان هذه الخمر « سوف تجنى » فقد رأى الشاربين يسعون اليها . . .

وصفة المجلس فى شعر هذا الدعي الثقيل من أبرد ما جاء به شاعر عامى ساقط . هل يهتم « بالعشب الأثيث والأمواه » ، الاحمار يحلم بالبرسيم ونحوه ، او من فيه روح حمار ؟

(كلينا والدهر وسنان غافل وقد أيقظ العود الصفاء فلباه)

اذا كان الدهر وسنان فهو غافل حتما ولا يبقى لهذه اللفظة معنى . وسنان وأيقظ . هذا هو بديع العقاد كأسخف ما يجىء به مبتديء . وايقظ العود الصفاء ، هذه كلمة من الشعر الذى كان قبل بضعين سنة حين كانت ألفاظ الشعر واستعاراته مثل ايقظ الصفاء ودعا الهنا . ولبى الأنس الخ . وما دمنا فى البديع فهل أيقظ يناسبها لبى ؟ ام هذه تناسب دعا ؟ هذه هى صناعة العقاد ليس فيها الا كلام عامى منظوم ، ومع ذلك لا يخجل ان يجعلها (الخمر الالهية) وتبلغ به الوقاحة ان يقول انها على طريقة ابن الفارض .

أما وقد رأيت طرب مجلس العقاد ، انه كله فى ايقظ العود الصفاء ، فانظر كيف يصنع الشاعر فى الابتكار لمعنى الطرب فى مثل هذا المجلس واقرأ قول مسلم بن الوليد

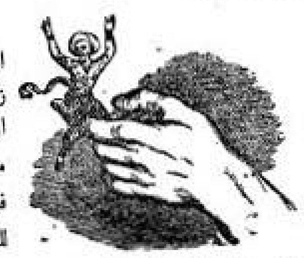
سلكنا سبيلا للصبى اجنبية ضمنا لها ان نعصى اللوم والزجرا
بركب خفاف من زجاج كأنها ثدى عذارى لم تخف من يد كسرا
علينا من التوقير والحلم عارض اذا نحن شئنا أمطر العزف والزمرا

ومسلم سبح له ابو نواس هذا المعنى فى قوله

لا أرحل الراح إلا أن يكون لها حاد بمنتخل الأشعار غريد

فجاء ابن الوليد بالرحل والركب والطريق وسماتها على أبدع ما تبتكر القريحة وهكذا يكون الشاعر فى توليده وابتكاره ان كان شاعرا . فأما ان كان عاميا ملفقا

لصاً كالعقاد فهو يصنع كما رأيت العقاد يصنع سلخاً ومسخاً كأنه (عطا شجى وابور) يقدم خرقته لامرأة حسناء تمسح بها عرق الخجل من وقاحته وسوء أدبه . . . .



لاينبغى ان يجىء الشاعر بمعنى متداول او مبتذل الا اذا وضع له تعليلا أو زاد فيه زيادة او جعل له سياقا ومعرضا او نحو ذلك ليكون هو فى معنى غيره ، فكأنه معناه هو . وأى شىء فى « أيقظ العود الصفاء فلباه » غير استعارة النوم للصفاء والايقاظ للعود كأن العود خادم فى (لوكاندة نوم) . . .

انظر ياعقاد الجرائد كيف صنع جميل حين أراد أن يأتى بشىء جديد من معانى الشعر فى طرب العود ونحوه وتأثير هذه الآلات فى مجلس الراح وهو يذكر نديمه عليها بعد أن طرب وشرب . قال

فلما مات من طرب وسكر رددت حياته بالمسمعات
فقام يجر عطفيه خمارا وكان قريب عهد بالممات

جعل العود (ينطق بأحسن من وقع القطر فى البلد القفر) وجعل فيه حياة من الموت الذى فى الخمر فكأن فى مجلسه مايحيى ويميت . هكذا فاصنع ايها الحمار الذى لايتلهف فى مجلس الطرب الا على « عشب أنيث وأمواه » دون الريحان وأنواع الزهر واصناف الطيب ومجالى الروض ومعارضه المختلفة الخ الخ

(يدور بها الساق علينا كأنها مباسم ثغر والحباب ثناياه)

ان اراد بالمباسم جمع مبسم مصدرا أى الابتسام فلا معنى للتشبيه لان الخمر ذات الحباب لا تكون بيضاء . فان أراد جمع مبسم أى مكان الابتسام يريد به الشفتين الحمراوين فكم مبسما للثغر ياترى . ؟ لعلها مباسم زنجية من أسوانها شفتان غليظتان كشفرى البعير ، ويكون تقدير العقاد ان هاتين الشفتين لو قسمتا شفاها رقيقة لكانتا عشرين أو ثلاثين ، ومن ثم يكون لهذا الثغر الواحد (مباسم) على هذا التأويل . . .

وهذا البيت سرقه العقاد من شوقى فى قصيدته المشهورة (حف كأسها الحبيب) من قوله

أو فم الحبيب جلا عن جمانه الشنب

ومع ان طبعي أنا لا يسيغ مثل هذه التشبيهات ويراها كلها فساداً فى الفروق ، فانى أرى فى بيت شوقى دقة غفل عنها العقاد لانه جاهل بالعربية ليست له قريحة بيانية البتة . فليس فى كتابته ولا شعره إلا الخبط لبط . . . شوقى يقيد الفم بأنه فم الحبيب ، والعقاد أراد مطلق ثغر يعنى ولو ثغر شوهاء فوهاء . . . ثم شوقى يذكر فم الحبيب والثنايا والريق وهذا كله حلو حلو جميل جميل ويضيف الى ذلك كله كلمة (جلا) وهى وحدها شعر فى ذكرها مع ثنايا الحبيب . والعقاد غفل مغفل ليس فى شعره الا ثغر نكرة - بدليل التنوين - وثناياه كيفما كانت ولو كانت مصابة بالقلح و و . . قبحه الله من شاعر سخيف ، كادت والله نفسى تثب الى حلقى . . . وما منعنى القيء من شعر هذا العقاد إلا انى تذكرت الآن هذين البيتين فى ثغر الحبيب ودره وعقيقه ولا أدرى لمن هما ولكنهما من شعر المتأخرين الجامدين فى رأى المجددين المغفلين

يا در ثغر الحبيب من نظمك ومن علم العقيق قد ختمك

أصبح من قد رآك مفتتنا يميل شكراً فكيف من لثمك ؟

تحتاج يا عقاد أن تخلق مرة أخرى من أب آخر . . لتستطيع أن تقول مثل هذا . ونعود الى تشبيه الحباب بثنايا (الحبيب) الحبيب خاصة - فأصله أنهم شبهوا الحباب باللؤلؤ وهذا جيد مستقيم على طريقة الوصف ومنه قول النواس « حصباء در على أرض من الذهب » ، وكثير غيره

ثم لما كانت أسنان الحبيب تشبه باللؤلؤ جعلوها كالأصل ونقلوا التشبيه اليها توليداً اتساعا فى فنون البيان ومن ذلك قول البحترى يصف الخمر :

وفى القهوة أشكال من الساقى وألوان

حباب مثل ما يضحك عنه وهو جذلان

وسكر مثل ما أسكر بطرف منه وسنان

ثم تنبهوا من ذلك الى مراعاة النظير والمقابلة فجمعوا فى التشبيه كقول ابن وكيع :

حملت كفه الى شفتيه كأسه والظلام مرخى الازار

فالتقى لؤلؤ الحباب وثغر وعقيقان من فم وعقار

وابدع ابن النبيه وجاء بالمعنى سائغا عذبا فى قوله :

فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب   تنوب عن ثغر من تهوى جواهره

ومن هنا أخذ شوقى فجمع فى التشبيه كما رأيت ، وعلى شوقى تطفل العقاد ، والتفنن فى وصف الحبب كثير ولكننا أردنا بما ذكرناه تاريخ المعنى الذى (هببه) هذا العقاد . . . .

(جرت فى صفاء الدمع وهى دواءه   فمن ذاقها لم تجر بالدمع عيناه)

سرقه من قول ابن المعتز مع غفلة من أقبح غفلات العقاد . يقول ابن المعتز و رواه الثعالبى لأبى نواس :

وليس للهم الا شرب صافية   كأنها دمعة من عين مهجور

فقيد الدمع بأنه من عين مهجور ، وصاحب مر حاضنه ، أطلق فجعلها ككل دمع و ان كان دمع مصاب بالرمد الصديدى . . . قبح الله هذا الاحمق لا يزال شعره كالملح الانجليزى أو زيت الخروع . ثم انظر واعجب من غباوة العقاد فقد فهم من بيت ابن المعتز أنه يشبه الخمر فى صفائها بالدمع فسرق على هذا الفهم وهذا تشبيه صبيان لا تشبيه مثل ابن المعتز وانما أراد هذا أنها صافية حمراء كدمعة المهجور حين يبكى دماً لا حين يبكى دمعا . أفهمت ياعقاد . ألا تقر أنك فى حاجة الى أن تكون تلميذاً لأديب، ثم بعد ذلك عسى أن تكون أديبا فى يوم ما . . ؟

وتأمل مايشعرك قول ابن المعتز (كأنها دمعة من عين مهجور) وما يثير فى نفسك من رقة العاطفة و تحزنها واهتياجها الخ وهذا كله خلا منه بيت العقاد فجاء قشرا لا لب فيه وزعمه أنها دواء الدمع مضحك لان ابن المعتز جعلها دواء الهم وليس كل هم يجيء بالدمع الا ان كان هم امرأة تبكى لكل شيء وليس كذلك الرجل . وما دامت الخمر دواء الدمع ، فينبغى أن يكون من أسمائها عند المجددين (شثم وقطرة) . . . . وحلول بوريك وسليمانى . ألا لعن الله هذا التجديد وأهله ان كانوا من هذا الطراز

انظر كيف يكون الشعر فى وصف الخمر على أنها دواء الدمع فى قول السرى أو السلامى لا أدرى :

بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا   كأننا فى حجور الروض أيتام

هكذا والافاسكت ويحك

(تير فلولا ان يسيل رحيقها تعلت لظى اذ ذكى النسيم شظاياه)

يريد فلولا ان سال رحيقها فاستعمال (يسيل) بصيغة المضارع خطأ لانه لا يفهم منه بهذا التركيب الا أنه لا يقول إنها لظى خشية أن يسيل رحيقها . والمعنى مسروق من قول مسلم بن الوليد

وكأنها والماء يطلب حلها لهب تلاطمه الصبا فى مقبس

الصبا نسيم الصبا فقال العقاد لولا أنها ماء لقلت أنها لهب ولم يحسن أن يقول مثل هذه العبارة البديعة (تلاطمه الصبا) فقال أذكى النسيم شظاياه ... الاذكاء معناه الزيادة تقول أذكيت النار أى زدتها وقودا فكيف يكون الاذكاء لشظايا النار أى الشعل المتطايرة منها دون النار نفسها ؟ هذا فهم مقلوب والظاهر أن مغفلنا الكبير فهم من معنى أذكى ضرب وفرق ونحوها

تأمل بيت مسلم وانظر الدقة العجيبة فى جعله الماء يطلب حلها حين يمتزج بها وهى فى نفسها لهب يتلاطم مع نسيم الصبا ثم قابل هذه الصياغة بصياغة مغفلنا

(يكاد اذا طاف الغلام بجامها يرفرف حولها الفراش ويغشاه)

جعل مجلس الراح فى غيط قطن عند (العشب الاثيث) حيث يوجد الفراش المنسلخ من دودة القطن . وهذا البيت يذكر بالذباب وتهافته على كأس الشراب لان الفراش والذباب سواء غير أن الاول يتهافت على الضوء (١) والمعنى بعد مسلوخ من قول مسلم :

---

(١) لا تنس أن الفراش لا يتهافت على الضوء الا ليلا وقصيدة العقاد ليس فيها ما يدل على أن مجلسه كان بليل ولا بسحرة فهذه احدى غفلاته . ثم إن الشعراء قد أكثروا فى تشبيه الراح بالنار حتى بالنار التى تشب ليسرى الضالون فى الليل على ضوئها فيهتدوا بها الى القرى والضيافة والعمران . كما شبهوها بالمصابيح واللهب وشعرهم كثير فى هذه المعانى وكلهم كانوا يعلمون طبيعة الفراش ومع ذلك لم يذكر أحد منهم هذا المعنى فيما وقفنا عليه لان لهم ذوقا وبصرا وليس يغيب عنهم أن الكأس التى يرفرف حولها الفراش ويغشاها ، هى أخت الكأس التى يقع فيها الذباب لان

كأن نارا بها محرسة   سما بها تارة وتغشاها

شبهها بالنار الحمراء كالتى زادت وقودا فيرتد عنها المصطلى تارة ويدنو منها تارة، فخطر للعقاد أنه لو كان الناس فراشا لكان المعنى أحسن فسخهم فراشا .

ولكن انظر كيف يقول الشاعر الحقيقي فى مثل معنى العقاد حين يصنع الصنعة البارعة التى لاتذكر النفس الا بالصور العالية الشريفة فيقول فى وجه ممدوحه

ذو غرة كجبين الشمس لو برقت   فى صفحة الليل للحرباء لانتصبا (١)

ويقول « صاحب مرحاضه » . . .

(لها فى يمين الشاربين توهج   اذا ما خبا قلب من الحزن أذكاه)

لماذا جعلها فى اليمين خاصة مع أن أهلها يتناولون باليمين واليسار ؟ ثم هذا المعنى كثير ولكن الشعر كل الشعر فى تعليله وكيفية وضعه وبيت العقاد من قول مسلم بن الوليد

تلتهب الكف من تلهبها   وتحسر العين ان تقصاها

قال الكف ولم يقل (اليمين) ثم هى مادامت نارا أو شعاعا محرقا فيكون أثر توهجها فى الكف لافى القلب . ولكن لعل العقاد سرق فيما يسرق سلكا مده من يمين حاملها الى قلبه فانتقلت الحرارة عليه . . . ومسلم يزيد فى بيته ان العين تحسر عن تقصيها كما تحسر عن الشعاع فى شمسه . وانظر كيف يتظرف الشاعر فى ذكر توهج الراح وتلهبها على يد الساقى الجميل اذ يقول :

لاتترك القدح الملآن فى يده   إنى أخاف عليه من تلهبه

وقول العقاد (إذا ما خبا قلب من الحزن اذكاه) من أبرد الكلام وأسخفه

الفراش لايرتد عن الضوء دون أن يخالطه ويقع فيه . وذكر الفراش على الكأس فى مجلس الشراب لا يكون الا من عامى سوقى بارد الطبع ساقط الحرمة . فأنت ترى أنه ان كان العقاد هو الذى جاء بهذا المعنى فكلام الشعراء جميعا دليل على فساد ذوقه وعامية طبعه وان كان سرقه بنصه فهذه أدهى وأمر لانها لصوصية وفساد ذوق

(١) الحرباء دائما يطلب الشمس ويتقلب معها وهو يطلب معاشه بالليل فاذا طلعت الشمس اشتغل بها

لان أذ كاء معناه أضرمه وهيجه وما الحزن الا تسعير القلب ونعوذ بالله . وقد قال ابو فراس

اذا ما برد القلب فما تسخنه النار

ويقول «صاحب مرحاضه » . . .

(تلوح كماء المهل أما مذاقها فمن سلسبيل الخلد في طيب سقياه)

قال في الشرح ماء المهل شراب أهل جهنم . . . فتأمل هذا الذوق ونعوذ بالله ثم نعوذ بالله .

وهذا المغفل قد نسى من أول بيت في قصيدته انها « الخمر الالهية » وأنه يقول « على طريقة ابن الفارض » فذهب يسرق في كل بيت ممن لم يقولوا على هذه الطريقة ولا حرفا واحدا كما رأيت . وهل الخمر الالهية « تلوح كشراب اهل جهنم » ؟ أخزاك الله (ياصاحب مرحاضه) وجعل المهل شرابك ، كما جعلت المرحاض ثيابك

وقوله (مذاقها) ثم قوله (في طيب سقياه) من الكلام الذى لايلتئم لان المذاق في اللسان وحده فالصواب مذاقها في طيب طعمه ، وبين الطعم والسقيا ما بين العقاد والشعر . هذا نصف القصيدة ، وكل ما مر بك في اثنى عشر بيتا فقط من شعر (صاحب مرحاضه) فكيف يرى الناس الآن قيمة (صاحب مرحاضه) . . . . . . ؟

البابية والبهائية

عالج الاستاذ عمر عنايت افندي موضوع البابية في مجلة العصور الغراء وادمج فيه الكلام عن البهائية بدون أن يتحرى فيه الحقيقة ولا أن يسترشد بما كتبه السابقون من المؤرخين المنصفين بل اختط لنفسه خطة لم يسبقه اليها أحد فصور البهائية للقارىء بأنها خليط من الآثار الفلسفية والدينية والصولية والشيخية والباطنية والمعتزلة على اختلاف نزعاتها ومراميها وان برنامج البهائية في نظره عبارة عن اتوبيا (كلمة افرنكية عبر عنها للدلالة على أن تحقيق تلك المبادىء مستحيل وأصلها بمعنى الجزيرة الخيالية) وياليته اقتصر على ذلك بل ادمجها اغاليط وحشاها افترا آت وأخذ يتخبط خبط عشواء فجعل يكرر في أقواله لفظ لاأدرى ماأقول لك ولفظة انى أجهل وما كان اغناه عن أن يكتب في موضوع لايدرى فيه مايقوله ولم يطلع على معلومات موثوق بها

ان كنت لاتدرى فتلك مصيبة أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم

ولقد كان الأحرى به ان ينظر فيما كتبه من سبقه من العلماء والادباء والمؤرخين المنصفين أو أن يسأل عن ذلك من نفس البهائيين المقيمين في كل مكان وياليته اقتصر على سرد الافترا آت العجيبة بل شحن كتاباته بالسخرية والاستهزاء الذى هو سلاح العاجز عن البرهان فادعى أن كتاب الاقدس رطانة بين العربية والاعجمية مع ما هو مشهود له من الفصاحة والبلاغة التى لم يبلغ شأوها الاولون ولن يبلغها الآخرون وما مثله في ذلك الا كمثل مشركى الاعراب حيث قالوا عن القرآن الكريم (ولو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين) بعد ماشهد الكتاب لنفسه بنفسه بانه لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله لن يقدروا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا والا عجب من ذلك قول حضرة الكاتب ان كتابات حضرة عبد البهاء قد تجلت في نظره بصور مضحكة مع انها باعتراف العظماء انفس ما كتب في الوجود من الغيب والشهود

أمور تضحك البسطاء منها ويبكى من عواقبها اللبيب

فان كانت الدعوة الى السلام العام ونبذ التعصبات واتحاد الاديان تضحكه فانه لايضحك منها النبلاء الذين يجلونها ويحترمونها ويقدسونها وان عادة الضحك على

الرسائل الالهية والكتب السماوية وعلى المؤمنين لم تكن خاصة بهذا الزمان بل كانت موجودة فى عصر كل ظهور جديد فقد كان المنكرون من الاعراب يضحكون على المؤمنين قال تعالى (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) فهذه عادتهم وديدنهم وأما كتابات حضرة عبد البهاء فكانت أعجوبة العصر كما شهد بذلك عقلاء القوم فانظر ماذا كتبه الامير شكيب ارسلان فى كتاب حاضر الاسلام وهو مطبوع فى مصر قال عن حضرة عبد البهاء (كان آية من آيات الله بما جمع فيه من معانى النبالة ومنازع الأصالة والمناقب العديدة التى قل أن ينال منها أحد مناله أو يبلغ فيها كماله — الى ان يقول — وأقواله فصل الخطاب وكتاباته الديباج المحبر وفصوله الوشى المنمنم يفيض بيانه بجوامع الكلم وتسيل عارضته سيل عارض منسجم ويود اللبيب لو أقام العمر بمجلسه يجنى من زهر آدابه البارع ويرد من منهل حكمته الطيبة المشارع — الى ان يقول — وبلغ من قوة الحجة واصالة الرأى وبعد النظر الغاية التى تفنى دونها المنى حتى لو قال الانسان انه كان أعجوبة عصره ونادرة دهره لما كان مبالغا ولو حكم بأنه من الافذاذ الذين قلما يلدهم الدهر الا فى الحقب الطوال لكان قوله سائغا — الى ان يقول — وكان احسن الله منقلبه مستوفيا شروط الرياسة ذا وقار ورسوخ الجبال ومهابة يقف عندها الرئبال وحشمة لا ترى الا فى الملوك — الى ان يقول — وكانت رسائله على كثرتها تتلى وتؤثر وتحفظ حفظ النفائس فى الخزائن وتدخر — الى آخر ما ذكره من المدح والاطراء الشديد

ولنسرد ايضا للناقد ما ذكره الامير محمد على باشا فى رحلته الى بلاد امريكا (وكتابه فى ذلك مطبوع فى مصر) عما شاهده بنفسه من تأثير خطابات حضرة عبد البهاء فى امريكا قال فى صحيفة ٤١٤ بعد مدح (اما خطاباته الكثيرة المؤثرة فانها أخذت دورا عظيما فى امريكا وكانت اذ ذاك حديث الجرائد ينشرونها ويعلقون عليها آراء علمائهم الدينيين وبالجملة فقد توصل باقتداره الى بلوغ الدرجة التى يحسده عليها الحاسدون فقد مكثت معه زمنا احادثه ويحادثني فيطربني بلذيذ كلامه ثم انصرفت من عنده وانا احفظ له فى قلبي المودة والاحترام)

ويكفينا هذان الشاهدان وما نطقا به من الحق والصواب وانهما من الامراء وليسا

من السوقة ولعل الناقد لا يعود بعد ان يسمع عنهماماتقدم فيدعى بأن مبادئ البهائية هى آراء رجل فهم الانظمة الاجتماعية فهما سقيما

فكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

فمن يستمع التغنيات البهائية وألحانها المطربة وهو ساه عن ملاحتها وصباحتهافلا يلومن الا نفسه حيث لم يقدر أن يبلغ شأوها ولم ينل سميها ومهما أرادأن ينقص من قدرها لن يقدر أبدا أن يطفئ. ذلك النور الالهى الذى أشرقت به الارض والسماء فلن تبلى على كثرة الرد وانها لأرفع منزلة من الشمس واعز مما خلق للحين فى السموات والارضين

ومن سمع الغناء بغير قلب ولم يطرب فلا يلم المغنى

هذا كتاب الله العزيز مع مافيه من الهداية كان فى نظر المنكرين عبارة عن أساطير الاولين (يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين)

ولو شئنا أن نعدد أغلاط الناقد كالقول بأن الشيخ الاحسائى كان من تلاميذ الباب وغيرها لما خلت منها عبارة أوجملة وأما ألفاظ السباب والافتراآت فلنضرب صفحا عنها ولنمر عليها مر الكرام فان اقلام العقلاء تنوح عند ذكر هذه السخافات وتأوه من ترديدها أوذكرها فكم نعت الناس قديما رسلهم وأنبياءهم بمثل ما ينعت به الناقد حضرتنا بهاء الله والباب قال تعالى عن لسان المنكرين (اتاركوا نحن آلهتنا لشاعر مجنون) ومن هذه الآية يعلم أن المنكرين كانوا يصفون سيد الوجود بصفات الجنون (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون)

أما كلامه عن عدد البهائيين فى العالم بنوع من الاستهزاء أو التهكم دليل على التغيظ عما هو مشاع عن ازدياد عددهم ازديادا مطردا فان الذين يبحثون عن الكثرة ليسوا من البهائيين بل هم الاغيار الذين يدونون مشاهداتهم وقد كتب الامير شكيب ماشاهده من أن عدد البهائيين فى مدينة استوتجارد فى المانيا ينوف عن أربعة آلاف حسبا علمه من قنصل الترويج ومع ذلك فالكثرة والقلة ليست مقياسا للحقية ولا داعيا للتعيير

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل

أما قوله بأن البهائيين يستدلون فى كتبهم ورسائلهم بآراء اعاظم الكتاب ويروون أقوالا

عن القضاة والوزراء والملوك والامراء مما لا يمكن تحقيقها ولا معرفة مبلغه من الصحة فراجع إلى عدم الرغبة فى الفحص عن الامور لان الاستدلال بما فى الكتب المطبوعة يسهل تحقيقه بالرجوع إلى هذه الكتب وتطبيقها فلا يحتاج إلى دليل بل هو امر فى غاية الوضوح

وليس يصح فى الاذهان شيء ٭ اذا احتاج النهار إلى دليل

ومع ذلك فليس فخر البهائية بمن تبعها من العظماء والقضاة والامراء والفلاسفة أو الملوك بل إن فخر هؤلاء باتباعهم للطريقة المثلى وتمسكهم بالعروة الوثقى وهم الذين يدونون بانفسهم مقالات المدح والاطراء فى التعاليم البهائية فى الكتب والمجلات فهذه ملكة رومانيا تكتب المقالات العديدة فى الجرائد السيارة تحث قومها على التمسك بالبهائية وهي تفتخر بها وقد كتبت فى سنة ١٩٢٦ ثلاث مقالات تحت امضائها نشرت الاولى فى جريدة تورنتو ديلى ستار واشنجطن هرالد والثانية فى تورنتوستار والثالثة فى نشرة المساء لفيلادلفيا قالت فى الاولى « وعند مافتحت الكتاب (عبد البهاء) وجدت فيه بيانات عبد البهاء رسول المحبة والوئام وتعاليم والده الداعى إلى السلام وحسن التفاهم بين الانام وبالاختصار عن دين يرمى إلى توحيد كل العقائد والاديان إلى أن تقول — (يا لجمال تلك الرسالة التى جاءنا بها بهاء الله وابنه عبد البهاء اللذان لم يشاءا عنوة واقتداراً لعلمهما أن بذور الحقيقة السرمدية الكامنة فى تعاليمهما لابد وان تتأصل فى النفوس وتتمكن فى الافئدة والقلوب وتنتشر فى كل الآفاق — إلى أن تقول — إنى أوصيكم جميعا اذا طرق سمعكم اسم بهاء الله أو عبد البهاء الا تنبذوا تعاليمهما وراء ظهوركم بل ابحثوا كتبهما واجعلوا كلماتهما الحاملة للسلام والفياضة بالمحبة والمفعمة بالعظات تنفذ إلى أعماق قلوبكم كما نفذت إلى أعماق قلبي واستقرت فى صميم فؤادى) وفى رسالتها الثالثة اعترفت وأقرت صراحة برسالة جميع الأنبياء بما فيهم حضرة الرسول الكريم قالت (لهذا ظهر الأنبياء ومن اجل هذا قام المسيح ومحمد وبهاء الله) فتممت الرسالة رسالة حضرة بهاء الله فهي التى تقرب وجهة النظر بين الشرق والغرب حتى إن الملوك ابتدأوا يعترفون انها الترياق الشافى للامراض المستولية على العالم وأن اتحاد من على الأرض منوط باتباع أوامرها وللملكة رومانيا الفضل بانها أول من آمنت منهم واعترفت بعظمة الامر وسلطانه

أما قول الناقد بأن آراء البهائية آخذة كل يوم فى التطور فراجع أيضا إلى عدم

الاطلاع الكافى فان المبادىء البهائية باجمعها تأسست بمعرفة حضرة بهاءالله وهوفى السجن الأعظم وقام على ترويجها حضرة عبد البهاء وعلى حفظها وصيانتها حضرة ولى أمرالله وأما ماذكره من مشكلات حل الأوقاف وطرد الصهيونيين إلى آخر ماأورده فهذه هى أمانيه ولا دخل للبهائية التى جلت خطرا أن تهتم بامثالها (وما من نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) وفى الختام يكفى أن نوجه نظر حضرة الكاتب إلى أن كل من يقرأ عبارته يشم منها رائحة التعصب الذميم خصوصا ماتحتوى عليه من الفاظ الشتم والاستهزاء وكثرة الافتآت والسلام

وارجو من عقلاء الملة أن لايتعجلوا فى الحكم على هذا الامر العظيم الذى اهتزله العالم شرقا وغربا وان لايعرضوا عن هذا النبأ الكريم قال تعالى (قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون) وستعلمون ان هذا الامر سيطبق صيته عن قريب الخافقين وبواسطته يتم اتحاد الشرق والغرب واتفاق الاديان والاجناس وزوال الحروب المهلكة والتعصبات المدمرة ويأتى يوم السلام العام وليس ذلك من قبيل الاتوبيا كما يراه الناقد بل إن اتفاق البهائيين من كل الملل والاديان فى جميع بقاع الارض اعظم دليل على تحقق الغرض المطلوب فعلا ففى مجالس البهائيين لا يمكن تمييز المسلم من المسيحى من الزردشتى من البراهمى من اليهودى قد اتحد الكل قلبا وقالبا اخوانا على سرر متقابلين وقالوا سلاما

عبد الجليل سعد

القاضى بالمحاكم الاهلية

شيطان بنتؤور

الحادثة الخامسة

قال الهدهد : كان الغد وجاء الأصيل ؛ وآن الموعد ، فأعملت جناحي استقبل منفيس . فلما وصلتها قصدت دار العلم والفلسفة فيها ، فدخلتها فرأيت الطلبة يخرجون من الدرس ، وكانوا يستعدون له بالامس . وقد أحاطت عصبة منهم بالنسر يماشونه ويلقون عليه الاسئلة شتى ويأخذون من بحر علمه وروضة بيانه . فاشرفت على حلقتهم أختطف السمع فسمعت أحدهم يقول للاستاذ ما هي الفضيلة يا مولاى ؟ قال ترك الرذيلة . قال وما الرذيلة ؟ قال هي جارتان في دار الجهل ، والبطالة في الشباب. وسأله آخر علمتنا يامولاى أن الراحة والسعادة كلتيهما في العمل فدلنى على عمل اتسهمافيه .قال ابن من أنت ؟ قال ابن نجار في المدينة . قال عليك بمنشار أبيك فان فيه الراحة والسعادة . وسأله ثالث بماذا تشقى هذه البلاد وبماذا تسعد يامولاى ؟ قال بالنيل والثور والمحراث . وألقى عليه رابع هذا السؤال :من العالم يا مولاى ومن الحكيم ومن الطبيب ؟ قال العالم من لا ينام، والحكيم من لا يطعم ، والطبيب من لا يموت . قال هذا هو المستحيل يا مولاى فما تريد بهذه المبالغة ؟ قال أردت أن العالم من علم بالنهار وتعلم بالليل، والحكيم من زهد في هذه الدنيا وقنع منها بكسرة، والطبيب من ترك طبا يعيش به الناس بعد موته . وسأله تلميذ آخر ما هي الفلسفة يامولاى؟ قال هي احتقار الدنيا ورحمة الناس .قال وما فضلها ؟ قال تحول دون الهوى والغضب وكلا هذين مفلة .وقال : وكيف تؤخذ يا مولاى ؟ قال توجد في الطباع ولا تؤخذ من الرقاع . قال الهدهد . ثم أشار النسر الى الطلبة أن ينفضوا من حوله ففعلوا إلا اثنين من خاصة تلاميذه ظلا يماشيانه وأنا أطير حيث يسيرون حتى أخذوا إلى المدينة ،وعندئذ رفعت فصرت فوق كتف الاستاذ فلم يقف ولم يلتفت . لكن سمعته يقول لصاحبه من فاته درسي لا تفوته صحبتي ومن صحبني فليصبر معي .

ليس للعلم وطن ولا للحكمة دار . بل العاقل من له على كل أرض مدرسة وعلى كل طريق أستاذ. والمدرسة تقوم العقل فى طريق العلم ولا تتكفل بوصوله كالمعيد عند السريرة فى الاعتقاد ، ولا يتكفل لها بكشف الغطاء . فرب عابد من نفسه وصل ، ومتعلم من نفسه حصل . عرفت صنوف العلم فلم أر كالفلسفة يأخذها المرء من نفسه ، ثم من حيث التفت فرأى ، وكلما قيل له فسمع من حديث المتكلم إن صدقا وإن كذبا وصوت الصامت ان بكلمة وان بكا . ونعيم المنعم وبؤس البئيس ومشية المستكبر وهذيان المهوش وعربدة السكران من النحل فى مشاغلها والنحل فى معاملها والنمر فى مستثاره والبرق فى مستطاره والزهر اقباله وادباره والفلك ليله ونهاره والبحر مضطربه وقراره . ومن النفس اذا اعتلت واذا صحت واذا طمعت واذا قنعت واذا رغبت واذا تسلت واذا حشأت واذا اطمأنت واذا شكرت واذا جحدت ومن الطباع اذا امتحنت والسرائر اذا بليت والاهواء اذا اختبرت . مدارس لا يفرغ اللبيب منها . ودروس لا يصبر الحكيم عنها . قال الهدهد ففهمت أن النسر يعتذر وانه ينهى عن الكلام ويأمر بالسكوت فامتثلت ولم أنبس . ثم سرنا فمر بنا في طريقنا على دار تشيد ويبالغ فيها ويوشك بنيانها أن يتم من زخمها لا يبقى عليه . وكأن ربها عندها بين غلمانه وأعوانه وكان الأستاذ يعرفه فاقترب منه وحياه . فخاطبه النسر قائلا لمن هذا القبر أيها السيد . قال هذا قصر يا مولاي لا قبر . قال وجدنا آباءنا يؤبدون القبور لا الدور لأنها مواطن القرار ومنازل لنا جميعا معاشر السفار . فعلام تظلم سنتهم ولا تسير فى الحكمة سيرتهم . قال انى واهبها للملك . ولا يوهب له الا ما يليق به . قال إن الملك فى غنوة عن مثلها ولو كان ممن يطمحون الى ما تملك أيدى الرعاية أو يفرحون بما يزلف لهم من ثمين الهدايا لما ساد الامم ولا اعتز ولا احتكم . إنه ليجيء اليه من أقاصى البلاد ويدخل فى خزائنه من كرائم المال ما لو جعل بعضه فوق بعض لطاول الجبال . وانه لأحرى بك أيها السيد أن تهدم هذا الصرح من أساسه ، ثم تجود على كل فقير يتضور جوعا بطوبة من انقاضه ، يشد بها على لحم بطنه لتخفف عنه من ألم الجوع . ثم ودعه وسار فمازلنا نذهب فى المذاهب ، والنسر دليلنا حتى انتهينا الى دار حقيرة البنيان عندها صبيان يلعبان . فقصد الاستاذ قصدهما ودعاهما اليه وقبلهما فوق جبينيهما ثم قال

يخاطبهما وعيناه تفيضان من الدمع كان ابوكما رجل صدق ، وكان وفيا فلتجز يه السماء فيكما . ثم التفت الى صاحبيه وقال ألا أنبئكما من مالك هذا البيت الزرى ؟ قالا بلى قال ذاك الذى يبنى قصراً ليهديه الى الملك وهو لا يسامح تلك الارملة ولا هذين اليتيمين فى أجرة شهر واحد . فما أظلمه وما أظلم الملك يوم يقبل هديته ، وما أظلم الحياة وما أظلم الناس . ثم ودعهما الاستاذ وانطلق يمشى ونحن نتبعه حتى دخل فى طريق ضيقة فاندفع فيها حتى أتى عليها وكان فى آخرها منزل فوقف به ثم دق الباب فخرج اليه رجل وقور يدل تجعيد وجهه على تقدم ميلاده ، فحياه النسر فرد التحية فسأله ماصنع الملك باليتيمين وأمهما قال رأف بهم وأمر ان يجرى لهم رزق من الخزانة الملكية قال خيراً فعل والخير سجية فيه فعد الى أهلك فقد اطمأن قلبي ثم تركه واستمر فى سيره والفتيان يماشيانه وقد سأله أحدهما من الرجل يا مولاى قال للملك جواسيس يتخذهم لا على رعيته وعلى صحابته . لكن على المتعففين من الفقراء ، وعلى الارامل والأيتام يدلونه عليهم لينظر فى أمرهم . وهذا الرجل من أدلاء الملك على الخير ولا أجر له على ذلك غير رضى نفسه ، وطلب الهدو لها فى رمسه هذا مايفعله رمسيس وملك البنايه : وأمر تدبيرها بيده ، مباركا له فى الآل والمال والرعية والسلطان وليأتين يوم يتخذ الملوك جواسيس على الارملة واليتيم ليسلبوهما شبر أرض أوجدار منزل ، فأولئك ملكهم فى دمار وتاريخهم فى سجل من عار ثم عطف الاستاذ على حانة خمار فدخل فتخلف الفتيان فأبى إلا أن يتبعاه وهناك جلسنا فى ناحية وطلب النسر شيئامن الخمر له ولتلميذيه وكان ازاءنا ثلاثة فتيان ترى عليهم دلائل النسب والحسب ، وكأنما عرفوا الاستاذفاحتال أحدهم حتى تسلل وانصرف وتحول الثانى إلى زاوية فانكمش فيها ، ولبث الثالث كما وجدناه ثابتا لايتحرك . فالتفت النسر الى أحد الصاحبين وسأله قائلا أعرفت هؤلاء يابنى ؟ قال هم يامولاى بنو صديقك القائد فلان قال هم بعينهم يترددون الى هذا المكان وقدعلم الدهر بذلك فخشيت أن أنذركم بالنصح والخزى قدرتهم ، قبل أن يصبحوا فى رقها فكيف وجدتهم يابنى ؟ قال أما الأول يامولاى فيخجل من نفسه ، وأما هذا المنكمش المستتر فيخجل من الناس ، وأما هذا الثالث المتهتك فلا يخجل من نفسه ولامن الناس قال أصبت يابنى ثم اقبل على رفيقه وسأله وكيف رأيك فيهم

أنت يابني ؟ قال أرى يامولاى أن يوكل الاول لنفسه لأنها سوف تزجره ، وأن ينصح للثانى لأن المقالة تنجع فيه ، وأن ينعي هذا الثالث الى أبيه. فضحك الاستاذ من جوابه وحكم بصوابه . ثم التفت الى ذلك الفتى المنكمش وناداه مالك يا ابن الأخ لا تكون رابعنا . قال ان أذن مولاى فعلت . ثم خف الينا فجلس معنا فحياه الأستاذ ولاطفه ثم خاطبه فقال . ما أطيب الخمر يابني . قال اطيب منها يامولاى هذا الثناء عليها منك . قال كيف تجدها . قال فيها لطف وهي محرقة قال كذلك الشرارة لطيفة المتقد ، وقد تضرم نارا على بلد قال وانها لتدب خفية ضعيفة ثم تتمكن ظاهره قوية . قال وهكذا الداء

قال وإن الجسم ليستريح معها وتخرج النفس من عالم الهموم ، الى عالم موهوم . قال خير لشاربها إذا أن ينتحر . فالراحة كل الراحة فى الموت . قال وإنها يا مولاى لعادة والنفس بما اعتادت منقادة قال الآن صرحت فأن كان ولا بد فخذ منها الطريف ولا تعطيها من عقلك وأدبك ، واتخذ منها صحة ولا تتخذ منها فرضا ، واشربها مع حكيم يقول لها فتى . وخذها فى مجالس الكرام ، فهناك أوائلها طرب ، وعواقبها أدب . قال أنت يا مولاى نصحت ولو أفصحت لما أفلحت . فلا يكون الا ما نصحت . قال بقيت يا بنى فى النفس حاجة أن أباك أشفق من السفهاء أن يعدوك وأخويك فى الغر فسلطنى عليكم ، فاما ذاك الذى استحى فله نفس تزجره وهي حسبه وأما أنت فقد رأيت من عقلك ما يطمئن به قلبي ، وأما هذا الذى يشربها جهراً ويلحظ اللائمين فيها شزرا ، فالحيلة فيه قليلة ، والنصيحة معه مستحيلة . فاذا لقيت أباك ، فتب من تلقاء نفسك اليه ، وا كفنى شبهة المن عليه بهداية ولديه قال أمرت ممتثلا يا مولاى فودعه الاستاذ ونهض وصاحباه على أثره

قال الهدهد : فلما خرجنا من الحانة رأينا الناس يزدحمون على بابها ، والتفت الى النسر فرأيت الغيظ على وجهه ، وسمعته يقول لصاحبه ما أولع الناس بالناس يشتغل أحدهم بشئون أخيه ، وفى أيسر شأنه ما يلهيه

علم الملأ أن بنتوور دخل هذه الحانة فاجتمعوا ينظرون كيف خروجه . فلأستقبلن جمعهم ولأخطبن فيهم ثم فعل فقال أيها الناس الماس فوق التراب ماس ، والخزف خزف ولو حمل على الراس أما والآلهة فى معابدهم ، وآباء الملك فى مراقدهم ، لرب صادر عن هذا المنزل . أطهر من خارج من هيكل

أيها الناس من زل منكم فليستتر ، ومن رأى زلة فليعتبر . من علم على أخيه فليصنع له همسا ، وليرحمه فى نفسه ، وليدع له فى صلاته . أيها الناس ثلاثة تعرض ولا يأمنها أحداً: المرض والمصيبة والغواية . وما شكر أحدكم الآلهة على الخلاص منها ، بأفضل من رحمة الواقعين فيها

رأيتم من السفاهة والمجانة ، أن يلج شيخ هذه الحانة فاجتمعتم ولو عقلتم لفعلتم . إن للعقل كما للقدم زلة ، وأن للحليم كما للجاهل ضلة . وإن النفس مع الهوى مائلة ، والعاقل من اذا مال مع النفس اعتدل . أيها القوم إن ملككم لكبير وان عددكم لكثير ، أمركم نافذ المشرق ، وسيفكم فى كل مفرق ، وعداكم يسيرون ، وحسادكم يسعرون . فاسبقوا نفوسكم وهذبوها ، وحافظوا على ابدانكم وربوها واعدوها ليوم تدعوكم الأوطان لتقربوها . لا تعطوا الغواية أزمتكم فتسلب منكم ذكاءكم وهمتكم ، ويدخل الرعاة بلادكم فى شبيبة الدهر ، فأفسدوا فيها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكان آباؤكم على اخلاقهم القديمة يأخذون الفضيلة ويذرون الرذيلة صحاح العقول صحاح النفوس صحاح الابدان . فاستجمعوا فى وقت السكون ثم وثبوا فى وقت الوثوب ، فاستردوا ملكهم بقوة . وراد منكم ان تكونوا فى الأمن فى ردح يضاعفه من الفضيلة ، لا تأمنون الدهر أن يأتى على عجل يا حملة السلاح : لا تقتلكم فى السلم الراح . ياحملة العلم لاتغلبنكم الخمر على الحلم . يا معاشر الصناع من كان الوقت رأس ماله والصحة سبب رزقه والكسب قوت عياله ، فليهجر الخمرة فانها مضيعة للوقت مضرة بالصحة آفة النشاط . قال الهدهد فبينا النسر يتكلم والجمع يسمعون برز الخمار له بين رجلين من الشرطة كان استجارهم فطلبا الى الاستاذ أن يمسك عن الكلام وألا يذم الخمر فى بيتها ولا يطعن عليها فى وجهها . ثم أبلغاه أن صاحب الحانة يدعوه الى المحكمة فى اليوم التالى ليطالبه أمام القضاة ببدل ما ألم به من الضرر ولحق به من الخسارة بسبب هذه الخطبة فى هذا الموقف . فامتنع الاستاذ عن الكلام كما أشار وأجاب بأنه سيوافى المحكمة فى الغد ، وهناك يكون له وللخمار شأن . ثم مشينا نخترق الصفوف وهى تنحى للنسر وتنحنى له فى طريقه حتى خرجنا من ذلك القسم من المدينة ، ودخلنا فى قسم آخر فقال الاستاذ لصاحبيه غدا تتبارز أنا والخمر ويحكم القضاة بينى وبين المتجر . قال أحدهما : قد كان لك يامولاى غنى عما أتيت إنك ظلت انسانا من حيث هديت . قال إن الطرق

مدارس العامة، ولا يعلمهم فيها الا الخطباء. والرجل يظلم الناس ليل نهار ومن ظلم ظالما فما ظلم. إنى لأشفق من الخمر على الخاصة فان لهم عقولا تردهم أحيانا الى الاعتدال فى أمرهم واشغالا من العيش وأسبابا من السعة تعينهم على الخمر وتقيهم كثيرا من عواقبها، ولكن أشفق منها على العامة فهى فيهم سلطان جائر يفتك ولا يرحم، وشيطان ثائر يسكن الرؤس فيملأها شرا ويتملك النفوس فيملؤها خبائث. واذا هلكت العامة فقد هلكت الخاصة. قال الهدهد: وبينا أنا مؤتنس بحديث النسر أسمعه ولا أمله، وانعظ بجميع ما يأتى ويذر، وان لم يخاطبنى فى هذه المرة ولم أخاطبه، اذ قطع الحديث كعادته وتثاءب، فعلمت أن الساعة أتت، ثم نظر الى وقال كلمته المألوفة اذا جاء الليل ذهبت الشياطين، فالقنى غدا فى المحكمة تسمع وتره

المحادثة السادسة

قال الهدهد فلما كان اليوم التالى سئمت من النهار وطوله، ومن ينتظر يسأم، حتى إذا مال ميزانه، وآصلت الآفاق، ركبتها الى منقيس، وانا أنتظر أن يكون لتلك المحاكمة نبأ، ارجو أن أقف منه على درجة القضاء عند المصريين القدماء، لعلى بأن العدل كما قيل أساس الملك ولا عدل إلا حيث القضاء يتوفر لابه، ويولاه أربابه وتوثق أسبابه، فهو مرآة الحكومات التى تتراءى فيها بما هى عليه من استقامة أو عوج وظلم أو عدل، وصلاح أو فساد، وارتقاء أو انحطاط. وأساس الممالك اذا سلم سلمت وإذا تهدم انهدمت، وعنوان شعور الامم وتعلقها ودرجتها فى العرفان ومبالغها من الفضيلة الانسانية، لأن القوانين التى تضعها كل أمة وتتواصى بالخضوع لها ليست الا مجموعة تاريخها وآدابها واخلاقها وعاداتها ولأن القائمين عليها بهذه القوانين ليسوا الا أفرادا من ابنائها يبصرون بعينها ويسمعون بآذانها، ويشعرون مثل شعورها ويجدون مثل وجدانها، فاذا زكوا زكا سائر الامة، واذا خبثوا، خبثت الأمة جميعا

(قال) فلما احتوتنى المدينة رأيت الزمر آخذين طريقا يتدفقون فيه فقلت فى نفسى لعل الزحام من أجل بتتورو وقضيته وطفقت أطير الى حيث يسيرون حتى جمعت الجموع دار لديها هالة، وعليها من العدل رونق وجلالة، فقلت فى نفسى دار القضاء لامحالة، ومرقت من فورى فصرت فيها أجول مع الجائلين فى نواحيها. وهناك علمت أن هذا

البناء الرفيع مقر حاكم القسم ، وأنه يجلس فيه للقضاء بين الناس . فقد رأيت كثيراً من دور الحكومة فى الاقاليم وهى التى يجلس فيها عمد البلاد واعيانها ، وحكام القرى للفصل فى المنازعات، فلم أر مابعا كى رفعة هذه الدار . فأجابنى أحدهم أن قسم الصناعة اكبر اقسام المدينة يامولاى فلاغروان تكون دار الحكومة فيه بهذا العظم . لكن أيأذن لى مولاى ان أسأله ألم يئن للحكومة جلالة الملك أن تجعل القضاء عملا مستقلا ونظاماً قائما بذاته فلا يقضى بين الناس شيخ القرية ولا حاكم القسم ولا قائد العسكر ؟ قال وأى بأس بهؤلاء اذا انتدبوا للقضاء وهم أشد الناس امتزاجاً بالاهالى وأعرفهم بطباعهم وأحوالهم وجلهم على معرفة واستقامة اخلاق . بل أن الأهالى كثيرا مايفزعون بمنازعاتهم الى افراد منهم اشتهروا بالعلم والخبرة ليفصلوا بها وهم يرتاحون الى قضائهم ويقبلون احكامهم ويمتثلون الصارم منها كالجاد . وربما كانت هذه الأحكام أدنى الى العدل واقرب للصواب مما يصدره قضاة تقيمهم الحكومة ولاتنتقيهم .

ولقد رأيت الحكام فى القرى اذا قصدوا القضاء جلس بجانبهم نفر من الكتاب والاعيان ليمدوهم بالرأى ويرشدوهم الى الصواب فيه .

قال الهدهد : فاستغربت هذه الأقوال وعجبت للدهر كيف تشابه وجهه وآخره . فهذا قضاء العمد كان من ضمن نظامات المصريين القدماء وهو اليوم الشغل الشاغل والمسألة الكبرى فى مصر ، وهؤلاء المحلفون كانوا يؤازرون القضاة على عهد الفراعنة وهم اليوم من ضرورات القضاء فى باريز مركز الحضارة الحاضرة . ثم التفت النسر حوله وقال لاصحابه ما أجمل هذا الموقف . وهناك بصرت بالنسر فى ناحية يحيط به جماعة من اصدقائه وتلاميذه ، فاقتربت منه فيط مستقرى من كتفه ، فالتفت مبتسما فقال :

جعل هذا الموقف للفضيلة ينصرها فيه دعاتها ، كما جعل للجرائم يفتضح فيه جناتها . والمتمثلان فيه اثنان جان تعلن براءته ، وهذا يبكى عليه من فى الارض ، وبرىء تعلن جنايته ، وهذا يبكى عليه من فى السماء . ومن له أن أكون الثانى ؟ فقال له أحدهم قضاة منفيس يامولاى قضاة عدل ودراية ، فلا خوف على رفيع شرفك منهم .

قال لايضطرب الا القاضى العادل ، ولا يخطىء الا القاضى العليم ولو ان ابتسوور أن يحاكم نفسه بنفسه بحادث شأنه مع الختار ، فلم يدر أيقضى لنفسه أم عليها . قال أحدهم يامولاى حكموا لصاحب الحانة بشيء من المال يأخذه منك عوضا لما لحق به

من الخسارة المزعومة، فما يكون شان هذا الحكم. قال أكون قد أعطيت الفضيلة شيئاً من مالى لا استكثره عليها ولا أتبعه المن. فسأله آخر ما القضاء يامولاى؟

قال محكمة ظاهرية ،ألجأ اليها فساد المحكمة الباطنية.قال فما العدل؟قال شيء كان مع الأنسان الأول ، حين لم يكن له فى الأرض شريك يزاحمه ، و كان لا يجد عليها من يظلمه.

قال الهدهد: فبينما النسر واصحابه فى التحادث إذ دعى المتقاضيان للمثول فى موقف القضاء فدخل الاستاذ ونفر من الشهود له وعليه و كان القضاء نحو سبعة هم حاكم القسم ومعاونوه من كتاب الناحية واعيانها ، وكان متردياً حلة للقضاء بيضاء ضافية كحلة الحراش ، تزهو بقلائد العقبان التى كان الحكام يزينون بها صدورهم كلما جلسوا للحكم بين الناس. فلما صار النسر بين أيديهم قال له الحاكم أيها الاستاذ إن لك بمقتضى مناصبك السامية فى المملكة أن ترغب عن قضائنا الى قضاء جلالة الملك، كما لك أن تقبل منا قضينا لك ام عليك.فانظر ماذا تأمر.

قال رضيت بقضائكم لأن مناصبى السامية فى المملكة ليس من شأنها أن تميزنى على خصمى هذا فى موقف يستوى فيه الخصوم و يقتص فيه للحصى من النجوم. فاسمعوا له ولى ، ثم اقضوا ما أنتم قاضون قال إنه يقول أنك آذيت به و بتجارته وأنه لابد له من بدل و يطلب من المحكمة أن تحكم له بمال يأخذه منك ،وقد جاء بشهود من عنده للاثبات فهل جئت بشهود من عندك للنفى؟قال ليس لى شهود من عندى أيها القاضى وما خطر لى قط على بال أن الشهادة تتجزأ ، لأنها لا فضيلة ولا عبادة حيث يختلف اثنان فى شهادة. وانى لأعجب لكم معشر الحكام كيف تقبلون من شاهد أن يثبت ومن آخر أن ينفى ، وأنتم تعلمون أن أحدهما كاذب أو محرف للشهادة لا محالة ، وقبول الكذب اغراء به .

أن الشاهد دعامة القضاء ، اذا متنت متن ، و اذا وهنت وهن ،فقوموه تقوموا به. لو أن من الآلهة قضاة فى الارض ، ومن الملائكة متقاضين ، وفسد الشاهد لفسدوا جميعاً. الشاهد عنوان الامة فاجعلوا عنوانها الصدق والفضيلة ، لا المين والرذيلة. ان شاهدين يقول أحدهما رأيت نهاراً فيقول الآخر رأيت ليلا ،و يقول الاول سمعت ضحكا ، فيقول الآخر سمعت بكاء، لمن حقهما ان يفصل بينهما قبل أن يفصل بين المتقاضيين فمن كذب منهما يسلب السمع والابصار ،و ينادى عليه فى الناس بالفضيحة والعار .قال الحاكم إن مقام هذا المقال المدرسة ،لا المحكمة ايها الاستاذ ولا بد لنا ان

تسمع الشهود، فليخرجوا وليبق واحد، فخرجوا الا واحدا فطلب القاضى منه أن يؤدى اليمين القانونية . وهى عند المصريين القدماء اقسم بحياة الملك وبنعمة الآلهة . فاداها ثم قص على المحكمة ما رأى وما سمع وحدث القضاة حديث الخطبة وأعاد عليهم منها حتى فرغ من الشهادة فذهب لشأنه وجيء بغيره فأداها ثم شهد ثالث ورابع وخامس فرأيت الكل على خلق واحد من توخى الصدق والتوجه الى الحقيقة والايجاز فى العبارة .فغبطت قضاة الفراعنة بهم وبسائر الامة أمة الاخلاق ورثيت فى نفسى لقضاتنا علما بما يكابدون من جهل الشهود وروغانهم من الحقيقة وخبطهم فى المقالة بما يخرج القاضى أحيانا من سكينته ويشتت خواطره ويذهب بثمين وقته سدى .
ثم طلب القاضى من صاحب الحانة أن يشرح دعواه ،فتقدم رجل أحمر اللون ، صغير الهامة ، رقيق العنق قبيح الوجه ، فسأله الحاكم من أنت قال فلان الكاتب يامولاى ، أنابنى صاحب الحانة عنه فى تقرير شكواه ، وشرح دعواه . قال إذن تكلم فاقسم الرجل ثم شرح يقول :

دخل السيد الاستاذ بنتوور صديق ملك العالم حانتنا التى بشارع الصاغة بصحبه فتيان فلبث فيها ريثما شرب قدحا من نبيذ منفيس ، ثم خرج فلم ندر به الاوقد وقف بباب الحانة فمنعه ، واعترض للناس فى طريقهم اليها فقطعه ، وخطب فى المارة بعد ذلك فاستوقفهم ، وجلب الزحام بعضه بعضا حتى خيل للرائى أن الحانة قتل فيها قتيل ، أو حدث فيها حادث جليل ، وكانت الخمر موضوع خطبته أولها وآخرها ، فوصفها بأقبح الأوصاف ، ونهى عن شربها وحذر من عواقبها وذكر مضارها وبين نصيب كل طبقة من طبقات الامة منها وطالت خطبته هذه حتى سمعها خلق كثير ، ومن فاته أولها لم يفته آخرها . ويعلم القضاة من جهة أن تجارة الاهلين حرة فى بلاد جلالة الملك ، وأن قوانين جلالته لاتحرم الخمر ولاتمنع من المتاجرة بها . ويعلمون من جهة ثانية أن للخطابة مواقف لم يكن ذلك الموقف منها . فلو قال الاستاذ فى الخمر ماقال وهو فى المتعبد بالهيكل أو فى التعليم بالمدرسة ، لما وجد لائما ولامؤاخذا لكنه عمد لشخص معين فأزرى به وبتجارته بمرأى ومسمع من الكافة ،ويعلمون كذلك أن ألاف الحانات بين الناس هم العامة فى الغالب ، وهؤلاء يتأثرون بذكر اسم الاستاذ بنتوور ، فكيف اذا سمعوا حديثه وكان مداره ذم الخمر فى بيتها ،وتقبيح تجارتها بين أعين تجارها ويعلمون

أيضا أن المارة فى أى قسم من اقسام المدينة انما يكون معظمهم من أهله وسكانه ، وحاناتنا إنما جعلت لابناء تلك الناحية التى خطب الاستاذ عليها ، فكل ضرر ينشأ عن خطبته انما يلحق بالحانة ويصيب صاحبها بالذات. هذه شكوانا بسطناها للحاكم واعوانه آملين من عدالتهم أن يقدروا الخسارة التى سببها الاستاذ لنا بخطبته وأن يسوموه أداء العوض الينا فحين فرغ الرجل من شرح الشكوى لم يتمالك بتوور أن ضحك ثم قال

أيها القضاة اعطوا الخمار من مالى ماشئتم ، ولا تعطوا هذا الاحمق منه فتيلا. فسأله الحاكم وأى علاقة بينكما وليس هو الا محاميا عن صاحب الحانة ؟

قال علمت انهما اشترطا أن يكون له النصف مما تحكمون به على، وأن الخمار عارضه فى ذلك بادىء بدء ، فكان جوابه أن التجارتين سواء. فكما أن الخمار يسلب الناس أموالهم كذلك المحامى يشاطرهم أرزاقهم . زعم الخصم أن قوانين جلالة الملك لا تحرم الخمر ولا تمنع من المتاجرة بها ونحن نقول أنها تبيح السم أيضا ولا تحظر الا تجاربه ، مادام من العقاقير، وكل ما أخذ بمقادير . على أننا لم نحرم الخمر ولم ننه عنها ، وكيف وقد شربنا منها قدحا باعتراف الخصم . لكن دعونا الناس الى الاعتدال فى امرها وأخذ القليل منها ، إذا لم يكن من شربها بد. فمثلنا كمن يقول لهم وهو على باب صيدلية لاحانة : يا أيها الناس لا تأخذوا السم إلا بمقدار . فهل علينا ان قلنا هذا من حرج ؟ شتان بين النوعين من السم : هذا يأخذه المرء وهو يعافه . وهذا يتناوله وهو يلذه. هذا يتجرعه وهو يدرى، وهذا يتعاطاه وهو لا يدرى. هذا إذا أخذ قليله نفع ، وإذا أخذ كثيره أراح. وهذا صمة تزول. وشعور يحور ذبول. وعلة تطول. وميتة عذابها يهول.

وزعم الخصم أن للخطابة مواقف لم يكن ذلك الموقف منها. ونحن نقول ان الموقف لم يكن أصلح منه للخطابة لأن قدحاً من الخمر لا يرثى له إلا فى الحانة ، كما أن الميت لا يؤبن إلا فى القبر. وزعم الخصم أن خطبتنا من شأنها أن تؤثر فى العامة الذين هم المشاؤون إلى الحانات ، وهذا ما كنا نبغى. فأنا نلتقى بالخاصة فى المجالس ، ونكتب لهم ما تصل اليه ايديهم وافهامهم. لكن لا يجمعنا والعامة الا الطريق ، ونصحهم دين علينا أينما لقيناهم . وزعم الخصم أن البلاء مقصور على حانته، لأنها أنما جعلت لأبناء الناحية

التي حاربنا فيها الخمر ، فأصبح يتنظر فى سكانها ان يولوا الوجوه عنها ، وهذا يسوؤنا بقدر ما يحزن صاحب الحانة فقد وددنا لو عم النفع ، بقدر ماخص الضر .

أيها القضاة لا تحكموا للخمار فتحكموا على الفضيلة ، ولا تقضوا له فتقضوا على التجارة الشريفة . لأن المتاجر بالخمر قاسي القلب لا يرحم صرعاه ، اغدار لا يشيع جنازة قتلاه ، غشاش لا يقف فى الغش عند حد ، شره لا يقصر فى الكسب عند غاية . فاذا لم يكن منكم رقيب عليه ، ولم يضرب القضاء على يديه ، عظم شره ، وعم ضره ، وتشبه به الكثيرون من اهل الكسل والشره ، ثم تعلق القاضي بهذا الحكم

ونحن حاكم قسم الصناعة من أسباب حكمنا الذى نصدره باسم جلالة الملك مقتبسين من أنوار عدله المشرقة على العالم أن البينات موازية الاعمال لا غنى للقضاء عن تقديرها ، والتأمل فيها ، والوقوف حيث هى من صلاح أو فساد فى الحكم على صلاح الاعمال أو فسادها . ونية الاستاذ بتتوور يوم خطب فى شارع الصناعة كانت مقصورة على أن ينفع الناس ولا يضر بصاحب الحانة . وأيضا أن الفضيلة هى روح الشرائع التى يحكم بها جلالة الملك رعاياه ، فلا ينبغي لها أن تنصر عليها الرذيلة فى حال من الاحوال . والاستاذ بتتوور انما نهى عن الاكثار من الخمر وادمانها الذى هو رأس الرذيلة . ونرى لذلك الاستاذ بتتوور هو من كبار أساتذة الأمة ، واهل الارشاد فيها . وهذه الوظيفة العالية يؤديها امثاله الحكماء فى كل زمان ومكان أينما وجدوا وكيفما ارتأوا ، وكل مرض لهم فيها تعرض للفضيلة . وبناء على ذلك حكمنا ببطلان دعوى الخمار وان يدفع الى الاستاذ بتتوور عشرين قطعة من الذهب لأنه سلبه بعض وقته الثمين وأخره عن اشغاله النافعة فى دعوى لم يكن من شأنها ان ترفع الى القضاء . ولهذا السبب نفسه حكمنا على الكاتب « فلان » المحامي عن الخمار بخمسين جلدة يجلدها فى صحن دار الحكومة هذه بمشهد من الناس عقوبة له على غشه صاحبه ولكيلا يجترىء أمثاله الكتاب على أخذ أموال الناس بغير الحق . قال الهدهد ثم تثاءب النسر تثاؤبه المعهود وفاه بكلمته المألوفة : اذا جاء الليل ذهبت الشياطين ، وامرنى ان القاه غدا ذلك اليوم فى دار الأمير (أونى)

شعر التصوير

جامعات الجزاز

The Gleaners

(الصورة من رسم جان فرنسوا ميليت - Jean Francois Millet : ١٨١٤م-١٨٧٥م، وهي من نفائس متحف اللوفر)

يلقطن منبتَ الجزاز كأنما • يبحثن من كنزٍ بروح بخيلِ
ويسرن في صبر الحكيم منقباً • عما يفيد، بنشوة التأميلِ
خلت الحقول من الغلال ونُقلت • وعلت جموع دريسها كتلولِ
والناس في مرح النشاط حيالها • والأرض باسمة لردِّ جميلِ
صفراء من ذهبٍ كشمس أصيلها • والجو مغسول بتبرِ أصيلِ
والقرية الحمراء ثم قريرة • بناتها ورجالها وخيولِ
عانوا لفرحتها بيوم حصادهم • ولقوا بشاشتها أحب بديلِ
لا بدع إن غنوا وأشرق يومهم • واستغرقت خيلٌ لهم بصهيلِ
لا غرو إن هم أسرفوا في حبهم • للأرض أو سكروا من التقبيلِ
ومضت رشيقات النساء جوامعاً • هذا الجزاز كأنه طب عليلِ
يجمعنه في زهوهن كأنه • أولى بأن يختص بالتكليلِ
وحنين راضية الظهور بلا ونى • في حين لا تحنى لغير جليلِ
وحرصن علي ملاءة في حفظه • حرص المضيف على حياة نزيلِ

وتَعُدُّه سيقانَ نبتٍ ميّتٍ * وعدَدْته أثراً لروحٍ نبيلِ
وكذا الحياةُ رسومُها في قدرِها * تبعٌ لحظِّ الفهمِ والتأويلِ
فاذا الذى أصغرْته لِضآلةٍ * حياةُ مَن يلقاهُ غيرَ ضئيلِ
وتعافُ منظرَه ، وغيرُك راسمٌ * ألوانَه فى الشعرِ والتهويلِ (١)
سبحانَ مَن جعلَ الجمالَ موزّعاً * فاذا الجميلُ يُخالُ غيرَ جميلِ !

أبو شادى



(١) التهويل : النقش بالألوان ، ومنه التهاويل بمعنى التصاوير . قال ابن الرومى فى قصيدته عن يوم المهرجان (التى رفعها الى عبيد الله بن عبد الله) من وصفه للايوان :

لم يكنْ يبتنى المساكنَ حتى * يُتقِنَ المجدَ أيّما إتقانِ
فأذيلت بها تهاويلُ رقمٍ * قلَّمات بزينةٍ المزدانِ

الدين وعلم النفس الحديث

الحياء

لسنا فى حاجة الى اثبات الصلة بين الحياء والدين لان الاحاديث «الحياء شعبة من الايمان » و « اذا لم تستح فاصنع ماشئت » وغيرهما من أحاديث معروفة متداولة ولانريد ان نبحث فى الفرق بين الحياء والخجل والحشمة الخ لان هذه فروق لغوية لاقيمة لها فى بحثنا هنا . ولكننا نريد —

(١) ان نلفت النظر الى بعض مظاهر الحياء التى كثيرا ما نسيء فهمها (٢) ان نحاول فهم الحياء وتحليله بأن نطبق عليه بعض نتائج ابحاث علم النفس الحديث

ليس الحياء محصورا فى احمرار الوجه واطراق الرأس وأمثالها من المظاهر المعروفة بل ان له مظاهر أخرى اقل وضوحا وأكثر تعقيدا . ترى مثلا ان بعض الناس يخاطبك بصوت مرتفع حين لاحاجة لرفع الصوت ويبدى انواعا من الجراءة والوقاحة وعدم الا كتراث ولا داعى الى شيء من ذلك . قد يخطر لك ان فى هذا السلوك شيئا من الغرابة ولكنك لاتشك مطلقا فى كونه جرأة وقلة حياء . ولكنك اذا درست هذا النموذج من الناس ودققت فى ملاحظة سلوكهم يتبين لك ان ما تظنه قلة حياء هو فى الحقيقة مقاومة شدة الحياء ... ارتفاع الصوت هو وسيلة الى اخفاء ما قد يصيب الصوت من الاضطراب بسبب الخجل . والوقاحة ليست الا ستارا تختفي وراءه مظاهر الارتباك الذى يسببه الحياء . وهكذا يمكنك ان تفسر أيضا الجراءة التى فى غير محلها وعدم الا كتراث وغيرها . وترى آخرين اذا دخلوا محلا عموميا — حديقة جروبى مثلا — وكانوا مضطرين ان يخترقوا صفوف الجالسين أخذوا ينظرون الى ابعد نقطة فى المحل كأنهم يبحثون عن شخص ينتظرهم هناك مشتغلين بالتصفير أو البحث فى جيوبهم عن المنديل ومسح جبينهم ورقبتهم ولو كان الفصل شتاء . أو يخرجون الساعة وينظرون فيها طويلا كانهم يفكرون فى حلول الميعاد وعدم حضور الشخص الذى ينتظرونه . أو يغيرون العصا والقفاز من يد لأخرى . وقد يقفون فى وسط المحل ويدهم على خاصرتهم أو تلاعب سلسلة الساعة أو ازرار الصدرة . واذا كانوا اثنين رأيتهم يتحدثون كما لو كانوا وحدهم

فى المكان و يغربون فى الضحك غير ملتفتين الى أحد من الجالسين. قد تحسد أمثال هؤلاء، و تقول لنفسك ان تلك هى الشخصية الحرة القوية التى لا تعرف آلام الخجل، وتتمنى أن يكون لك ولو بعض تلك الحرية. ولكنك لو أوقفت احد هؤلاء بغتة اثناء اختراقه الصفوف لرأيت أن حريته وعدم اكتراثه يتحولان إلى ارتباك ظاهر وصفيره يصير شهيقا ونظره الثابت يضطرب وتراه ينظر إلى عدة جهات فى وقت واحد. وذلك لانك فاجأته بمقاطعة تفكيره الذى كان منحصرا فى مهمته الشاقة — مهمة مقاومة الحياء من مئات الاعين التى يظن انها تنظر اليه. وهناك آخرون اذا صافحتهم ترتعد يدهم فى يدك وتشعر انهم يحاولون التخلص منك، وبعضهم لا يطيق المصافحة مطلقا ويجذب يده بشدة اذا انت اطلت المصافحة. بعض الناس يقولون ان ذلك دليل على خبث الطوية وسوء النية نحو الشخص الذى لا يطيقون مصافحته. ولكننا نعتقد ان هذا احد مظاهر الحياء الذى نسىء فهمه ونخطىء فى تأويله لان هؤلاء يفعلون ذلك دائما ومع كل الناس حتى مع الذين يلتقون بهم للمرة الاولى ولا يعرفون شيئا عنهم، وانما هو نوع من أنواع الخجل فكما أن بعض الناس يخجلون اذا اطلت النظر اليهم فهو لاء ايضا يخجلون اذا أطلت مصافحتهم. ومن مظاهر الخجل الكبرياء. فقد عرفت فتاة انكليزية يكرهها اكثر معارفها لتكبرها، ولما خاطبتها فى ذلك اعترفت بأن ذلك حياء لا كبرا. وانها اذا اجتنبت الناس أو ظهرت كأنها لا تكترث بهم فهى انما تفعل ذلك لتحمى نفسها منهم لانها تخجل حتى من سماع صوتها ووقع أقدامها اذا كان هناك شخصا آخر يسمع أو ينظر... وهذا يذكرنى بأحد اقاربى. كنا نقول عنه انه يمشى كالحمامة و ينظر كالارنب ويتكلم كالأفعى. ونؤول ذلك تأويلات مختلفة ولكنه فى الحقيقة كان من الذين يستحون من سماع صوتهم ووقع أقدامهم. وعرفت شابا شرقيا كان مشهورا بكثرة التواضع ينحنى لكل صغير وكبير ولا يدخل قبلك محلا و لو كنت أنت البواب لذلك المحل ويحفظ عددا كبيرا من عبارات الاحترام والمجاملة ويستعملها مع الجميع على السواء، وكان محبوبا عند معارفه واصدقائه ولكن كان فى تواضعه شىء يضايقنى شخصيا. شىء غريب وغير طبيعى، وبعد مراقبته مدة طويلة تبين لى ان التواضع هو سلاحه الذى يتقى به مسببات الخجل، يكثر من التأدب والتواضع ليشغلك عن نفسه و يشغل نفسه عن نفسه. هذه بعض مظاهر الحياء التى لاحظتها

ودرستها شخصيا، وهى تدل على ان الحياء اقوى تأثيرا فى سلوكنا واكثر انتشارا مما نظن. والآن ننظر فى الحياء نفسه.

الحياء فى العربية من اسماء الرحم كما فى المخصص وغيره من كتب اللغة. وفى الالمانية ايضا يطلقون لفظة Scham على الحياء الذى هو بمعنى الخجل و يطلقونه ايضا على الاعضاء الجنسية للرجل والمرأة. ومن معانى لفظة Pudeur الفرنسية الحياء والعفة وعلاقة العفة بالاعضاء الجنسية واضحة. وفى العبارة الانكليزية Private Parts ما يشير الى نفس العلاقة بطريقة غير مباشرة. وفى بعض اللغات العربية الدارجة نجد ما يقرب من ذلك. ففى تونس مثلا يسمون الاعضاء الجنسية للرجل «محاشم» من الحشمة وفى الجزائر والمغرب الاقصى توجد عبارات يمكن ان تدل على الحياء وعلى العورة معا. فكأن الحياء يذكرنا بالاعضاء الجنسية والاعضاء الجنسية تذكرنا بالحياء . . . . ثم اننا نلاحظ ان درجة الحياء تختلف باختلاف الجنس. فالانثى تكون غالبا اكثر حياء من الذكر الذى فى سنها. ولعل ذلك يرجع الى ان الانثى اكثر شعورا باعضائها الجنسية من الذكر. الرجل اذا انهمك فى عمل من الاعمال قد ينسى اعضاءه الجنسية وكل ما يتعلق بها مدة طويلة. اما المرأة فلا تستطيع ذلك لان الحيض الذى يتكرر شهريا ويدوم اياما وما يتبعه من الاضطراب الجسمى والنفسى يذكرها دائما بانها انثى وأن لها اعضاء جنسية. ثم ان المنطقة الجنسية فى المرأة اوسع منها فى الرجل. ثديا المرأة منطقة جنسية مهمة ليست اقل اهمية من الرحم نفسه. وترائبها ايضا منطقة جنسية، واسفل بطنها واعلى فخذيها وعجيزتها وساقاها، كلها مناطق جنسية. فجسم المرأة يكاد يكون كله منطقة جنسية او مجموعة مناطق جنسية تفتن وتفتتن وتثير الشهوات وتثار فيها الشهوة. وذلك هو سبب الخصومة بين الدين والفن فى هذه المسألة. النحت والتصوير يميلان إلى الجمال العارى لابراز الثديين والبطن والفخذين وبقية المناطق الجنسية. والادب مملوء بذكر الترائب المصقولة والنهود المستديرة والكشح اللطيف والعجيزة الضخمة والساق الدرماء. والدين يعتبر كل ذلك «عورة» ويحرم كشفه ويعد كشفه حرام وقلة حياء. فالمرأة اكثر حياء من الرجل لانها تشعر أن كل جسدها عورة وأن النظر اليه لايكون الا نظر شهوة. و نلاحظ ايضا أن الحياء يختلف باختلاف السن. فهو يكثر جدا عند المراهقين ثم يأخذ فى التناقص

شيئاً فشيئاً عند الشبان فالفتيان فالكهول فالشيوخ. قد يطرأ على هذا الترتيب الاضطراب والتداخل وقد يكثر عدد الشواذ في بعض البيئات لاسباب مختلفة . ولكن مما لاشك فيه ان أغلب المراهقين من اكثر الناس حياء واكثر الشيوخ من أقل الناس حياء. وذلك الان المتقدمين في السن لكثرة معرفتهم واختبارهم للاعمال الجنسية، قد زال منهم الخوف من تلك الاعمال. فهم ينظرون الى المرأة كما ينظرون الى طعام اعتادوا اكله أو ثوب اعتادوا لبسه بدون خوف و لاخجل ولا ارتباك. وليسوا كالشبان الذين ترتعد فرائصهم اذا لامس جسمهم جسم امرأة او نظروا الى جزء صغير من ثدييها أو مما فوق ركبتيها . هذا بعض مايمكن ان نصل اليه بالملاحظة والاستنتاج فاذا نحن استعنا بالذاكرة ورجعنا بها الى عهد الطفولة نتذكر اننا نسمع كلمة «حياء» لاول مرة عند ما نكون لا نزال بين الثالثة والرابعة و نكشف عن أعضائنا الجنسية أو نلمسها أو نلعب بها أو نشير اليها بالكلام فيقال لنا أولا — لا تفعل ! واذا لم ننته نزجر بالعبارة — (لا تستحي !) أو ما يقابلها في مختلف اللغات واللهجات. فاذا نحن تمادينا نعاقب بالضرب أو بغيره فنفهم حينئذ ان الحياء هو أن لا نلعب باعضائنا الجنسية وان لا نتكلم عنها وانا اذا فعلنا ذلك نعاقب. ولكننا نستمر على ممارسة ذلك سرا لاننا نجد لذة في ذلك اللمس واللعب اللذان يصيران فيما بعد استمناء وعادات سرية أخرى. فاذا عثر علينا ونحن نفعل شيئاً من ذلك نتذكر العقوبة فنخاف ونرتبك و(نخجل) و يقال لنا من جديد ان ذلك الفعل هو عيب وقباحة و (قلة حياء) ولكن الغريزة الجنسية لاتخوف بالعقاب ولاتشبع بالمواعيد. لذلك تبقى قوية جريئة ملحة واذ ذاك يبتدىء العراك بين العقل الظاهر والعقل الباطن أو الذات المهذبة والذات الفطرية . الاولى تنكر الغريزة الجنسية وتكتمها وتتناساها . والثانية تطالب وتلح وتثور. ونتيجة هذا العراك هي الحياء أي الخوف من أن ينتصر العقل الباطن على العقل الظاهر فنفتضح. والدليل على ذلك هو انك لاتكاد ترى للحياء اثرا في العائلات العصرية المتعلمة حيث تقل الخرافات والتقاليد والخوف من عقاب الدنيا والآخرة، وحيث يتعلم الطفل ان اعضاءه الجنسية هي كغيرها من الاعضاء، وليست عورة أو سوءة ويفهم أن سوء استعمالها لايليق بنفس الطريقة التي بها يفهم ان سوء استعمال فمه أو يديه لايليق

ودليل آخر هو غياب الحياء مدة النوم عندما تضعف رقابة العقل الظاهر الاشياء التى نستحى من فعلها فى اليقظة نفعلها بدون حياء فى المنام . اذا اشتهى الانسان امه أو أخيه مثلا فى حالة اليقظه يستحى ويطرد الفكرة من نفسه فى الحال . ولكن اذا حصلت تلك الشهوة فى الحلم فقد يقضى وطره دون ان يشعر بأى خجل او ندم لان العقل الظاهر يكون اذ ذاك غير منتبه .

أرد دونك يقظانا ويأذن لى ٭ عليك سكر الهوى إن جئت وسنانا

هذا هو منشأ الحياء . فاذا تمكن وصار عادة يمتد تأثيره الى كل الشخصية ويصير ضعفا خلقيا عاما او نوعا من الجبن فيستحي الانسان من كل شيء - من التصريح بمبدئه والمجاهرة بعقيدته والتعبير عن آرائه . ويستحي حتى من الحق ويكذب ويخدع ويرائى من شدة حيائه .

اما اهمية الحياء فى الدين فلا صعوبة فى فهمها لان الجانب العملى من الدين هو المنع والتحريم . والحياء يساعد على ذلك . لان الذى لا يستحى لا يقتنع بسهولة بحكمة الحرام والحلال والمكروه والمستحب بل يشك ويسأل لماذا ؟ ويجادل فى آيات الله لانه لايستحى .

همبورج — طاهر خميرى

الحب

أول الحب فى القلوب شرارة ٭ تختفى تارة وتظهر تاره
ثم يرقى حتى يكون سراجا ٭ لذويه فيه هدى وانارة
ثم يرقى حتى يكون مع الايام ٭ نارا حمراء ذات حراره
ثم يرقى حتى يكون أتونا ٭ بحراراته تذوب الحجاره
ثم يرقي حتى يكون حريقا ٭ فيه هلك لاهله او خساره
ثم يرقى حتي يمثل بركا ٭ نا يرى الناس من بعيد ناره
ثم يرقى حتى يكون جحيما ٭ عن تفاصيلها تكل العباره

جميل صدقى الزهاوى

جان دى لا بريير

وكتابه « الأخلاق »

جان دى لا بريير أخلاقى افرنسى رسم بقلمه عواطف الانسان . وأبدى مكنونات فؤاده . وأظهر ما تكنه جوانحه من نزعات وما تخفي عنه ضلوعه من مرام . مظهراً الفاسد منها ناقداً للعوج . محبذاً القديم . حتى اذا أراد امرؤ الأخذ بالصالح منها وجده على متناول يده

ولما كانت الاخلاق عنوان مجد الأمة اذا حسنت نمت الامة وسادت ، واذا فسدت اضمحلت وبادت . رأينا أن نبدأ مقالاتنا الأدبية بتحليل نفسية هذا الكاتب الاخلاقى ، ونقد كتابه المسمى « الاخلاق » مدلين على مواضع الاجادة فيه ، ومبدين مواطن النقص فيه وناقلين الى العربية مقتطفات منه ليدرك القارىء ولو لماماً فوائد هذا المؤلف الذى لو أتيح له مترجم الى العربية متضلع من معانيها مشبع من بيانها واقف على دقائقها لأدى لأمته بتعريبه خدمة لا تقوم بمال .

حياة لا بريير

ولد لا بريير فى باريس سنة ١٦٤٥ واسترد الله وديعته سنة ١٦٩٦ أن يجرى له فى حياته حدث يثير الاهتمام . فقضى عمره فى معية البرنس دى كونديه الكبير مثقفا ابنه وملقنا إياه العلوم والمعارف ومقوما اعوجاجه . ومصلحا من التواء ميوله .

ولما كان دائم التردد على البلاط الملكى الفرنسى أبصر بعينه النقادة ظلم النظام الاجتماعى الذى جعل الناس طبقات تسمو الواحدة على الأخرى فترهقها بالمغارم وتسقيها الذل والهوان ، وتحملها أنواع الخسف والجور . ورأى محاباة الطبيعة فى توزيع الهناء فتخص به من لا يستحقه . وتمنعه عمن هو له أهل وتبدى له شقاء العامة وما تتحمله فى سبيل العيش من كدح يضنيها ، وكد يفنيها دون أن تصل الى ما تسد به رمقها وتدفع به عن نفسها غائلة الجوع فتفجرت عواطفه وجاشت ميوله وآلى على نفسه ان يعمل لاصلاح هذا الحال فعرب كتاب الاخلاق لتيوفراست اليونانى وأردفه

بآخر من نتاج قريحته و ثمار مشاهداته فكان نبراس هدى لمن يريد أن يهتدى الى قويم المبادىء وحميد الخصال

ما حمله على وضع كتابه

لقد ذهب البعض الى أن لا بريير استوحى فى تأليف كتابه مما خطه يراع تيوفراست اليونانى لا سيما وأنه صدره بترجمة كتاب هذا الاخير فى الموضوع ذاته

لكننا نرى أن ما أخذا به ألى وضع مؤلفه هى حاجات العصر الذى عاش فيه وذوق أهله فقد كانت الأمثال والحكم كثيرة التداول على ألسنة القوم يتسابقون الى استظهارها و يسعون الى الاكثار منها، فتقى لروشفوكول أن ينيلهم مشتهاهم فألف فى ذلك كتابا تذوقه الجميع بشغف عظيم

وكان ما يسمونه الصور - أى تصوير العوائد وسرد الاخلاق - كثير الشيوع وقتئذ يتطلبه مقتضى العصر و تستلزمه ثقافة الوقت فبرز الى عالم الوجود سنة ١٦٥٩ كتاب مقتطفات مدموازيل، فاستحسنه واقبل الناس عليه ايما إقبال

ومن أشد مظاهر الذوق فى تلك الأيام السعى الى ادراك الحقيقة الخالصة من كل شائبة فكانت الحكم والأمثال غاية أهلها وتصوير العوائد و وصف الاخلاق مطلبهم يسعون الى ادراكه بكل ما أوتوا من ذلاقة لسان وفصاحة بيان وبلاغة أسلوب لانهم كانوا يرون فى الصور والحكم جلاء للحقيقة واظهاراً لماهيتها فتبدو فيهما كما هى ناصعة بيضاء دون أن يحجبها زخرف أو يخفيها طلاء، ومن غير أن يكون للخيال الروائى والشعرى أدنى دخل فى تشويه معالمها اذ يبروزها جلية واضحة دون ستر ولا سدل يقترب الفن اللغوى بقدر الامكان من التعبيرات العلمية

تعمقه الفكرى

لكل امرىء مهما سمت مكانته الادبية حسنات تذكر فتشكر وسيئات تسرد فتبتذل لان العقل البشرى مهما أوتى من سعة الادراك ليس فى وسعه أن ينتج عملا كاملا. فالنقص صفة ملازمة لطبيعتنا البشرية فاذا ما أبدينا مواطن الضعف فى لا بريير لا نوخى النيل من حقه وغمطه فضله ولا افقاد الكتاب قيمته. فانما

نسعى الى تحليل نفسية الكاتب وتمحيص مقدرته الفنية واظهار ما انطوى عليه من قوة أو وهن.

يتألف كتاب «الاخلاق» من حكم وأمثال وصور للاخلاق والعادات. فقد حذا فيه حذو لاروشفوكول لكنه استخلص الصور والصفات واكسبها شكلها الفني وقيمتها الفلسفية وبرز في ذلك تبريزاً لم يبزه فيه أحد. لكنه لم يسم في الحكم سمو لاروشفوكول، بل لبث من الوجهة التفكيرية العامة في مستوى أدنى من مستوى غيره، من خاص موضوعه أو ما يشابهه. فقد فاقه باسكال بعمق أفكاره وبحثها في صميم النفس لاظهار بواطنها وكشف غوامضها. لان لا بريير لم يكن ذا قوة تحليلية عظيمة ولا ذا مقدرة نفسية تمكنه من التغلغل في أعماق القلب البشري. ولم يتصف بميزة ذاتية يتهيأ له بواسطتها التسلل الى الغرائز والطبائع بل جل ما امتاز به صفات ليست فذة لكنها فوق المستوى العمومي، عصمته من كبير زلل. لكنها لم تؤهل به عظيم اكتشاف.

ولا يجب أن يؤخذ الانسان بنصه الاخير المؤلف من مجموعة آراء وأفكار راقية فلسفية مستمدة من آراء أفلاطون وباسكال وديكارت، ومحولة بابهام كلي الى معان روحية للديانة المسيحية. فهذا الباب مع ما فيه من صحة الرأي وصدق البيان، عديم الشخصية لا يقوم بنفسه ولا يمت الى المؤلف سوى بالتحوير والتبديل، فما هو الا انعكاس لافكار الغير وظل لآرائهم.

وكان لا بريير نظرياً تأثر عيناه فتخط أنامله. فكلما قربت عوامل الملاحظة من متناول اليد، وبدت للنظر المجرد ظاهرة جلية سهل له رؤيتها وتناولها. لانها تبعد عن الخيال الفكري والتصور النفسي اللذين يعوزانه. فقد كان ينظر فيخط بحركة نظره، ويرى فيعبر عما يراه. فهو والحالة هذه أشبه برسام ينقل بريشته تبصره عيناه من الأشياء الحسية. لا ما تصوره مخيلته من الامور المعنوية.

فهو شغوف بالحياة ومظاهرها. يقبض لشواذها وعيبها. يجتهد في استخلاص أبدعها العمومية الجلية واستظهار أخلاقها البادية دون تطلع الى المستترة منها أو الغائبة عنها. فله الظواهر لا البواطن. وما يبدو لا المضمر منه. ولذا أجاد في

تصوير انسان القرن السابع عشر الذى عاش فيه وعجز عن التعبير عن الانسان فى كل آن ومكان

فهذا النقص فى التعمق الفلسفى وطبع الفنان الذى تستهويه الاشكال وتستميله الظواهر الحية ،قد حولا حقائق كبار المؤلفين المدرسين الى حقائق تصورية أشبه بالخيال منها بأمور راهنة

الروح السائدة فى الكتاب

لقد انتقد لابرير اخلاق اهل عصره بلواذع الجمل ، وقوارص الكلام . وأبدى لهم تأذيه من عوائدهم التى لم ير فيها حسنة . لانها شيدت على اسس النقائص والرذائل . وأقيمت على دعم الانانية وحب الذات ،فرتب الشرف تشرى لتتخذ ذريعة لعدم دفع الضرائب . والدين صرف عن مجراه وتحولت اجتماعاته الى مناظر وحفلات . والأسر تفككت عرى الصلاة بينها . واتخذ الزواج وسيلة للكسب . فضحيت الفتيات على مذبح الاعراض الثانية والعلائق الاجتماعية . وحجر عليهن فى الاديرة دون ارادتهن وجبراً لمغنم . والعدالة عرجاء ،ضيقة لا ترفع ضيما ،كثيرة الكلفة طويلة المدى . والانسان بين هذه المساوى، يطلق الفنان لميوله بجتنبا الحقائق متبعاً الترهات ،لاتقا بالسفاسف لايرى الحق الا فى جانب فعاله واعماله . ولا يأتى الجلائل الا بانانية تشوه محاسنها وتقلل من قيمتها . وهو يقيد ارادته (بالمودة) ويقتفى اثرها خانعا ذليلا فى كل مايأتيه سوا أكان فى عوائده أم فى طرق معيشته

وبالاجمال كان لابرير ثائراً على النظم الاجتماعية متمرداً على سير الانسانية ناقماً على العوائد حانقاً على الاخلاق . لايرى فيا حوله غير اكاذيب ومفتريات . وترهات ومنكرات لحمل على هذه النقائص وابداها للعيان بشكلها المزرى ومنظرها الممقوت فاستغلها فلاسفة القرن الثامن عشر ،واتخذوها سلاحا لتقويض دعائم الحكم القديم الذى سمح بهذه المزريات . فكان لا برير والحالة هذه ،فيلسوفا بالمعنى الذى اعطاه فولتير وديدرو على هذه الكلمة

تبويب الكتاب

لايسعنا ونحن نبدى غث كتاب وثمينه ،الا أن نظهر اسفنا عازاماً فى كتابنا العصر

ولا سيما كتاب جرائدنا من النقص الذى يذهب بمحاسن كتاباتهم مهما سمت ببلاغة وعلت موضوعاً ـ فجلهم ان لم يكن كلهم لا يحسنون ترتيب افكارهم وتبويب مايخطونه، فتبدو نفثات اقلامهم مضطربة مشوشة ، متداخلة بعضها ببعض ـ فيقرأ المرء فى آخرها ماسبق ان اطلع عليه فى أولها ويرى فى وسطها ما مر به فى مستهلها فيخرج منها مبلبل الفكر ، لم يعلق فى ذهنه منها شيء

اما اذا اعتنوا بترتيب ما يكتبون وتبويبه يقربوه من ذهن القارىء وارسخوه فى ذاكرته . فينتهى من القراءة وقد ثبت فى مخيلته ماطالعه دون ان يجهد نفسه فى حفظه أو يتعب ذاته فى استظهاره

وقد وقع لابرير فى هذا الخطأ نفسه فاهمل ترتيب كتابه وتبويبه فبدا نقصه ظاهراً جلياً يشوه محاسنه وافقده جزءاً كبيراً من قيمته . لان الكتاب لم يكن الا مذكرات مأخوذة من الحقائق . فكان المؤلف ينقل مايراه امامه من مظاهر الانسان المتنوعة دون أن يعمل الفكر لاستخراج دفائن النفس وخوالج الفؤاد . ولما اتم مؤلفه جمع ما دونه وقسمه الى فصول كال كل واحد منها بعنوان وجعل من مجموعها كتاباً .

لاننكر ان ثم بعض الترتيب فهناك مقدمة يبين فيها لابرير عقيدته الادبية ، تليها ابواب الكتاب كلها وصفاً وبياناً لمختلف درجات الهيئة الاجتماعية ـ أولها نفثات الاقلام تليها الكفاءة الشخصية . ويأتى بعدها العالم اجمع محللا تحليلا دقيقاً بعوامله المهمة ومشاغله . فباب فى النساء . وآخر فى قلب الانسان وما يعيش فيه من العواطف المتباينة . والاهواء المتضاربة والحادثة وماتستوجبه . ثم طبقات الاجتماع من رجال المال والاعمال الى طبقات الاشراف . وبعدئذ الدولة ووزراء المملكة والملك . وفصلان فى الانسان على وجه العموم . والحكم على الظواهر (والمودة) وتحليل بعض العادات والمنبر والادعياء.

غير اننا لانجد فى الكتاب تضامناً فى أبوابه . ولا ارتباطاً بين فصوله . ولا تسلسلا فى موضوعه . ناهيك بباب « الحاكم » الموضوع فى وسطه فانه يؤلف نتوءاً بارزاً لايتفق مع مضمونه لمخالفته له مبنى « ومعنى » . ولا يصح ان يكون خاتمة ترتاح اليها النفس ، وتسكن عندها خواطر القارىء .

ميزات لا بريير

لقد ابدينا مواطن الضعف فى لا بريير من الوجهة البسيكولوجية . واظهرنا مامنى

به من قلة التعمق الفكري . ولابد لنا لاتمام بحثنا من ايفائه حقه بابراز مقدرته وكفاءته وما تحلى به من الصفات التي أهلته لوضع كتابه .

فلئن خفي عنه مايجيش في النفس من عواطف ونزعات لانها مستترة فعينه النقادة لم تفتها رؤية المظاهر الخارجية المنعكسة عنها . فهنا تتجلى عبقريته التي لا يدانيه فيها احد،فقد توصل بماله من دقة الملاحظة وقوة الشعور الحسي الى تصوير الانسان الماثل امام اعيننا بحيث يتجلى لنا منه الانسان الخفي الذي لا يدركه بصرنا ولا تصل اليه انظارنا فلم تفته في ذلك ملاحظة مهما دقت وصغرت . فقد أبدى كل شيء فيه بطريقة لطيفة رشيقة تستميل القلوب وتستهوي الافئدة ،فانتقد حديث الانسان ولهجته وحركاته وسكناته وسيره ومشيه وعوائده وطباعه وفعاله واعماله حتى ما يعتري وجهه من تقلصات عصبية وما تخطه عليه يد الزمن من غضون وثنايا .

أبدى كل هذا بوسائل حسية اكثر منها معنوية حتى انها لترسخ في الذهن دون اجهاد فكر ولا اكداد عقل،فلم يجد عندما اراد اظهار السرور الذي يخالج قلب المحسن من البر الذي يأتيه سوى تقابل النظرين ، نظر فاعل الخير ونظر المحسن اليه ، اللذين يتخاطبان دون ان يستمدا معونة الالسن ومساعدة الشفاه . فقد قال : « ما اشد غبطة المسدي معروفاً واكثر حبوره،عندما يقع نظره على نظر المسدى اليه . »

وقد اراد في موضع آخر تصوير شناعة الاغتياب ، وابداء فظاعة هذا الفعل . لا سيما وان اكثر الناس ينهون عما يفعله غيرهم ويقعون فيما عابوه على سواهم . فلم يجد غير عجوز متبرجة واقفة أمام المرآة تزجج حاجبيها وتكحل عينيها وتحمر خديها وتضع على محياها نقط الحسن،بينما هي تعيب على مثيلاتها وعلى غيرهن هذا الصنيع

فلو عمد لا برير الى فصاحة التعبير وسحر البيان وأتى بالمعجز الموجز من الكلم أكان بوسعه ان يظهر لنا دمامة الاغتياب وقبح التعرض لاعمال الغير بصورة اكثر حياة،و بشكل اشد وضوحاً واكثر تقرباً للذهن من هذا الشكل ؟

نظن بل نؤكد ان كل وصف مهما سما وعلا،يقف حاسراً كليلا امام هذا التعبير الحسي،حتى اننا عند ما قرأناه ظللنا برهة نستمتعه في ذهننا ونستذوقه في عقلنا،مرددين مثلنا العربي القائل : « رب اشارة ابلغ من عبارة »

لقد صور لا برير اشخاصه بالوان تزهو كلما طال عليهما القدم حتي ان الواحد منهم ليبدو امام القارىء كأنه حي يأتي أفعاله ويقوم باعماله . وهذه ناحية من نواحي نبوغه. لاننا نقرأ كتابه فيخيل الينا ازاء ما نراه من قوة التعبير ودقة النظر وبعد الملاحظة الذي يأخذ علينا مشاعرنا ويستأثر بافئدتنا ان المؤلف لم يغفل عن أشخاص ما يبدو من مظاهرهم الخارجية، بل تبطن الى عواطفهم فاستخرج دفائنها . وساخ في أعماق النفس البشرية فابدى مكنوناتها

ونرى أن نأتي بمختارات من كتابه (الاخلاق) ليلم القاري بفنانه كما ألم بصفاته ومميزاته

قال في باب «القلب» : الغبطة والحسد نقيضان ، لكنهما يتنازلان شخصا واحدا وهو أهلية الغير واستحقاقهم الشخصي ، أو ما في أيديهم من متاع الدنيا. فالاول عاطفة اختيارية شريفة ، صادرة عن خلوص نية وصفاء طوية ، تحمل النفس فرحة خصبة بما تقدمه لها من مثال تقتدى به وتنسج على منواله ، تسمو بها في سماء تجعلها اعلى وارفع من الشيء الذي تغبطه

والثاني حركة عنيفة ، اشبه بأقرار اجباري باهلية وكفاءة بعيدتين عن نفس الحاسد فتذهب به الى نكران الفضيلة التي بهرته ، حتى اذا لم يجد بداً من التنويه بها ، جردها من كل استحقاق ممسكا عنها المديح والثناء الواجبين لها

وقال في باب « الادعياء » : ولد الانسان بيانا كذابا ، وهبطت الحقيقة من السماء بيانها وكمالها طاهرة نقية ، فلم تعرف به لاختلافها عنه مبدأ ومرمى فهو نزوع الى زخرف القول مهما بعد عن الحق ، وهي تواقة الى الصدق في الجوهر مهما آذت المبادهة بصحة الواقع . والمرء اناني بالذات لايعجب الا صنع يديه . فهو ميال الى كل فرية، معجب بكل كذب، اذا حدث لفق ، واذا قص امعن في المين، واذا سرد واقعة حال اسرف في الزيادة ، فحياته الاجتماعية ، وصلاته الانسانية ومعاملته المدنية رياء ونفاق ومين واختلاق

تجرى حادثة بسمعنا وبصرنا ، فيقصها اناس عديدون شاهدوها بأم عيونهم فلا يتفق اثنان في الالمام بعرضها لا بجوهرها ، فاذا كان هذا شأننا فيما يجرى بين ظهرانينا فماذا يكون أمرنا في الحوادث التاريخية التي جرت في السنين الخوالي ؟ فهل نثق بروانها

وهل نعتقد بصحة كتب التاريخ التى دونها بشر مثلنا لهم نزعات مثل نزعاتنا وانانية مثل أنانيتنا ، وميل طبيعى الى الاغراق والمبالغة ، ومسخ الحقائق وتشويه ماجريات الاحوال ؟

وقال فى باب «الحاكم والجمهورية» : يجب على السياسى القدير الذى يعالج أمور الدولة ان يكون شديد التسلط على عواطفه ، جامحا لما يجيش فى نفسه كتوما لذات صدره لاينم ظاهره عما يخفيه باطنه ، فيكون والحالة هذه كاللاعب الماهر الذى لايتجهم وجهه اذا خسر ، ولا تهش اساريره اذا كسب المكلا تر تسم دخائله على صفحة محياه ، فيحرز ندّه مايضمر فؤاده ، فيستغله لنفسه ، ويحرز الغلبة عليه

ويجب أن يكون عليما بطرق المداراة ، فيمد نظر من يساجله عما تهم به نفسه ، مبديا عدم اكتراث بما يبغيه ويصبو اليه ، ومقبلا بكليته على مايرغب عنه ؛ كأنه لا يروم عنه بديلا ، حتى اذا انس خصمه منه ميلا الى أمر تمنع عن انالته اياه ، عارضا عليه ما طالما رنا هو اليه فى قلبه ، فيفوز بمناه على اهون سبيل

وعليه ان يتحرز جهد طاقته من الثرثرة ، التى قد تسوق صاحبها فى أكثر الاحيان الى الزلق ، فيزل لسانه بما يريد أن يضمره جنانه ، فيبوء بخيبة المنى ، وفشل الامانى

ولا نريد بذلك ان يكون عيا فيمسك عن الكلام رهبة وخشية ، بل نروم منه اذا شام فى ذاته ضعفا ، ازاء من ينازله ، ان يحجم عن الاسترسال ، ويلزم السكينة فى هيبة ووقار ، مظهرا بسكوته مقدرة على مقارعة من يساميه ، فيظن هذا بانه تجاه امرىء ، يزن كلامه ، ولايلقيه على عواهنه . فيستشعر منه رهبة تحمله على التراخى فى أموره ، وعدم الاستمساك بما اتى ليناضل عنه

وأما اذا كان منازله أخرق أرعن ، حمل سكوته على محمل العي والضعف فتمتلىء جوانحه كبرا وتنتفخ اوداجه زهوا ، فينبسط فى حديثه ، حتى اذا استفرغ ماعنده ، عرف هو ما يريد معرفته من قرائن اقواله فيرد عليه بما يدحض حججه ، ويفند براهينه .

وقال فى باب « المحادثة » : اذا ضمك مجلس بفروح المحادثة يتطلب ان لا تستأثر بالحديث مهما أوتيت من زلاقة لسان وفصاحة بيان ، بل تترك الوقت لغيرك ليبدوا آراءهم ويعبروا عما فى نفوسهم ، لان من يخرج من حديثك منشرح الصدر قرير العين

بما أبداه من مقدرة كلامية وكفاءة خطابية، يغادرك وفى نفسه منك مثل مابه من ذاته. لان الانسان لايحب الاعجاب بالغير قدرمايحب ان يعجب الغير به ويفضل ان يستعذب حديثه وتستذاق خفة روحه على ان يتعلم منك ويأخذ عنك. ولذا فان اللذة اللطيفة التى تسمو بالنفس، هى فى جلب السرور للغير وادخال الهناء الى قلوبهم دون ان يشعروا بمنة منان أو بفضل مسد

هذا غيض من فيض من هذا الكتاب القيم الذى لو نقل الى العربية لكان جليل الفائدة عميم النفع

ويا حبذا لو عنيت به وزارة المعارف وكلفت بترجمته كاتبا قديرا سلس العبارة رشيق الاسلوب، وقررت تدريسه فى مدارسها فانها تفيد الناشئة افادة عظيمة

مصر نصيف جورجى نيقولاوس



قطرات الندى

حبي

وحبٌّ تجلّى في سماء قداسةٍ كوحيٍ — من الرحمنِ يبعثهُ فينا
يبارك قلبينا ، ينقي شعورنا وفي كل أوقات الصفاءِ يوافينا

***

ويلقي علينا من عليِّ سمائه مزاميرَ تسمو في الغرام كقرآنِ
فنحفظها ظهراً لقلبٍ كأنّها مواعيدنا لا تستظلُّ بنسيانِ

***

وتغمرنا في ساحة الحلمِ لذةٌ كما يغمر الأكوانَ بدرُ تمامِ
نظلُّ بها سكرى كأنّ شعورنا مفارقنا ، أو أننا جدُّ نوامِ

***

تشاركني حسنائيَ الحبَّ مثلما تُشاركُ رُوحُ المرء إحساسه العالي
فنسمو به نحو السماء ، وإننا لنسمو الى أفقٍ يفيض بآمالِ

***

كذلك تمليني الجمالَ قصيدةً يجلُّ بها شعري كإجلال (إحسانِ)
تفيض بمعنى تلو معنى كأنّه تبَسّمُ غيدٍ ، أو لحاظُ حِسانِ

***

وما الشعرُ إلاّ ما يفيض شعورنا به خالياً من كل قيدٍ وأغلالِ

***

وما الشعرُ إلاَّ ما يُضيء قلوبنا   ويعلاها في اليأس نورَ جمالِ

***

وتقطف لى من حسنها كلَّ زهرةٍ   تفوح عبيراً يفتقُ الكُمَّ عن زهرِ
وتسحرنى من نغمٍ ألفاظها التى   تفيض موسيقى ليس توجد فى الشعرِ

***

وتسألنى عن كل ماتلتقى به   كأنى خبيرٌ بالوجود عليمُ
ولكننى مُستلهِمٌ من جمالها   فألقى جوابى فهو بَعدُ حكيم

***

فياذ كريات الحب إنْ طال بيننا   بعادٌ تُخلِّ العهدَ جدَّ جديدِ
ولاتحسبين البين ينزع — والذى   يُميت ويحيى — ما بُمتّهُ عهودى

***

وإنى برغم اليأسِ يحمله الى   فؤادى حديث القوم عن هدم آمالى
سأبقى على ما كنتُ فى الحب مخلصاً   وإنْ كنتِ تنسين العهود بآمالِ

***

سيبقى غرامى كالجمالِ مسطراً   على وجه حسناء استطال بها العمرُ
تحاول أيدى الدهر محوَ سطورهِ   ولكنَّها ترتد لاينمحى السطرُ

حسن كامل الصيرفى



التربية

(في النظريات الحديثة)

وهي خطبة ألقاها على رهط من اساتذة المدارس في بغداد الاستاذ عبد الله بك الحاج معاون رئيس الديوان الملكي ببلاط بغداد والمحاضر في جامعة آل البيت في العاصمة العراقية في علمي السيكولوجيا والبيدغوجيا وخريج جامعة كولومبيا في نيويورك

***

اقدمت على هذا الموضوع والبحث فيه، لا اعتقادا مني بسهولته وقلة أهميته، ولا مغالاة في اقتداري على معالجته معالجة تامة. بل تقديرا لما له من الخطورة في تكوين الامم ومعالجة المشاكل الاجتماعية، وما له من التأثير في تكييف التمدين البشري.

وستلاحظون في اثناء البحث جهات الحياة المتعددة، التي يتناولها هذا الموضوع، والتي يحتاج كل منها قائما بذاته، الى بحث مستفيض.

فراعاة لهذه الحالة نويت أن أعرض عليكم بصورة موجزة نظرية جديدة في التربية وصورة عملية التربية بشكل يريكم حصولها ويريكم تداخل العوامل والقوى التي تؤثر في حقل التربية، وبيان عام موجز عن حالة التربية في هذا القطر. فاذا نجحت فتلك غايتي، واذا فشلت، فسوف لا يكون ذلك أول وآخر اختباراتي في الحياة. فقد فشلت كثيرا قبل الآن وكثيرا ما سأفشل من بعد ذلك.

أما الطريقة التي اتبعتها في معالجة الموضوع فهي شرح وتفصيل ما اختبرته في حياتي في البيت كولد وفي المدرسة كطالب ومعلم، وخارج المدرسة كشاب ورجل في ميادين الحياة الاخرى، وما بقي في نفسي من أثر لهذه الاختبارات وما علق بذهني من افكار وآراء لعلمي في المدارس، والكتاب والمؤلفين في الكتب، وما وصلت اليه حتى الآن من نتيجة في حياتي، وما أهتم به من الامور لمتابعة سيري في الحياة على أساس التربية والنمو والتثبت الدائم في هذه السبيل. غير اني لا ادعي ألبتة العصمة في قولي وآرائي كما وانني لا اضع المسؤولية على أحد فيما سأقوم ببيانه لكم. بل أرجو منكم أن تعدوني المسئول عن علمي الآن ان كان ذلك صوابا أو خطأ، واذا لم يرق لكم قولي فلا تتقيدوا به وقولوا رجلا قال.

التربية ومعناها التنمية والتقوية والاحياء ، ومن معانيها أيضا التهذيب والتشذيب وهذا يتضمن الاضعاف والاماتة والاتلاف

ثلاثة رجال في العراق الواحد يربي نوعا من الحنطة لسوق لندن والثاني يربي نوعا من الخيل لسباقات الهند ، والثالث يربي مجموعا من الاولاد لخدمة الوطن . ان كلا من هؤلاء الرجال الثلاثة هو مرب ويجابه مسائل تربوية متشابهة من حيث الاساس ؛ ومتباينة من حيث الغاية. فالاول منها ان تعين الطلب على صفات معينة في الحنطة والخيل والرجال ، الاولى لسوق لندن ، والثانية لسباقات الهند . والاخيرون لخدمة العراق ، ويحتم على كل من اولئك المربين الثلاثة وضع مناهج معينة لحياة هذه المواد وتربيتها ، من شأنها ان تفضي الى درجة قصوى انتاج تلك الصفات المطلوبة . ومنها ان كلا منهم عليه ان يسير في مباشرة عمله على طريقة ، وبموجب أصول ومبادئ تربوية واحدة متكررة في اعمال كل واحد منهم . ومنها انه بالرغم من وضع المناهج واتباع الاصول فكثيرا ما نرى المربين يفشلون في انتاج الشيء المطلوب . ان معالجة هذه النقط الثلاث اي وضع المنهج والسير بموجب اصول معينة والتشبث في انتاج الصفات المطلوبة ، تؤلف قسماهما من موضوع التربية

اما الثانية ، أي التباين من حيث الغاية في تربية النبات والحيوان من جهة ، وتربية الانسان من جهة اخرى ، فهي اننا نربي الاولين كواسطة لسد حاجات المجتمع من دون أن يكون لنا من تربيتهم غاية سوى ذلك بينما نحن مع اننا نربي الانسان للقيام بحاجات المجتمع ـ والانسان لا يفرق من هذه الجهة عن النبات والحيوان ـ فأننا فوق ذلك نربيه لغايات أخرى كانت منذ القديم مدار بحث الفلاسفة والمفكرين والانبياء ورجال السياسة والتشريع وقادة الامم وإحتمامهم ، حتى ان الانبياء والفلاسفة هبوا الى تعليل بدء الخليقة وما بعد الموت للبحث والتفكير في معالجة هذه الغايات وتعيينها ، وعلى اسس فلسفة هذه المباحث قامت المدنيات الغابرة والحاضرة ، اذ ان التمدن في رأيي هو اجتهاد في الجواب عن ماهية الحياة وغايتها وكيفية العمل في سبيلها هذه وهذا بذاته يعني التربية بمعناها الواسع . لقد كانت التربية الى اليوم واسطة لتحقيق غايات مقررة في الحياة . اما الآن فأننا نرى اتجاها جديدا في تفسير معنى التربية والحياة وغايتها ، واصبحت التربية في رأي البعض من فلاسفة هذا العصر غاية بذاتها لا واسطة

لغايات اخرى خارجية ، وانها والحياة شيء واحد لا يمكن الفصل بينهما . وهذا التطور منشؤه الانقلاب الفكرى الحديث فى بعض جهات التفكير الى منها (اولا) التحول من الاعتقاد بأن الحياة غايتها فى يد قوة خارجة عن هذا الكون حكيمة مدبرة تشرف على اعمال البشر ، الى الاعتقاد بأن الحياة غايتها فى ذاتها ليس الا (وثانيا) الانقلاب من ان مصدر الحكمة هو الوحى والتصور ، الى أنه الملاحظة والاستقراء والاختبار و (ثالثا) الانتقال من الاعتقاد بأن الخير والشر ازليان فى الاشياء وفى الحياة ، الى أن الأشياء تصلح وتفسد بالاستعمال ، وان الحياة تحسن وتفسد بالوسائط .

إن البحث فى فلسفة النظرية الجديدة التى تدور حول علاقة التربية بالحياة وغايتها ومايترتب عليها من الانقلابات فى الحياة الاجتماعية كافة دقيق جدا ، يؤلف اليوم اعظم مشكلة فى ميدان التربية . وضيق المقام يضطرنى الى التخلى عن الافاضة فى نقطه المتعددة ونقدها . غيرانه يجدر بى ان استعرض امامكم بعض القضايا الرئيسية فى هذا المضمار . يقال : اولا :

إن سوء فهم الحياة ادى الى سوء فهم التربية ، وعلى ذلك ساءت الحياة وفسدت المدنيات الغابرة وانقرضت .

٢ ـ ان ماوصل الينا من المؤسسات الاجتماعية عن طريق الوراثة معظمه مبنى على سوء فهم الحياة وتيجة ذلك سوء التربية ، وان تمدننا الحاضر لامحالة متعثر بسبب ذلك .

٣ ـ ان طريق الخلاص من النتائج السيئة التى تحتمها علينا مدنيتنا الحاضرة هو حسن التربية ضمن حدود الاعتبار ـ والعمل بموجبه ـ بأن الانسان قبل كل شيء وفوق كل شيء ، مقدس لايجوز التصرف فيه كما تصرف فى الحيوان والنبات ، او وضع قيمة استثمارية لحياته وتربيته اللتين هما غاية واحدة متلازمة تخضع لها كافة الغايات والاعتبارات الأخرى على اطلاق القول .

ان الطبيعة بذاتها لاتعقل ، وليس لها أى نظام ادبى اوغاية معنوية ، بل هى فوضى . وان كل مانستطيع عمله هو ان نكتشف طرق عملها ونتائج تأثيرها ، ونقتبس منها ذلك ، ونسخر ماظهر لنا منها وعلم لدينا ، لاكتشاف وتسخير مالم يظهر بعد وما هو مجهول . أما النظم والغايات فهى من عملنا ووضعنا .

هذه بعض القضايا الرئيسة فى بحث التربية اليوم، وان نظرة واحدة الى مؤسساتنا الاجتماعية التى نعيش فى ظلها ، تكفى لاقناعنا بحقيقة وجود هذه القضايا و ان الفساد المتشبعة به نظم هذه المؤسسات ، وماتعانيه من المشاق بسبب ذلك فى سبيل الحصول على الشيء اليسير من الراحة ، يحملنا على الميل الى الاعتقاد بصحة تلك الدعاوى

إن المدنية الحاضرة تمادت الى حد بعيد فى الاساءة الى الغاية من حياة الانسان وتربيته. وأيقنوا بأن ماتعانيه نحن من فساد الحياة والتربية من هذه الجهة فى هذه البلاد ، يشاركنا فيه كافة البشر فى البلاد الاخرى . ولا يغرنكم تباين الاشكال والصور . فالكم المؤسسات التى تستعبد الانسان وتستغله كالحيوان وتدفع عن هذا الاستعباد والاستغلال بالدعايات المتنوعة وبالسلاح . والكم الاخبار التى تنقلها الينا الصحف عما يجرى يوميا على هذه الارض من المزاحمة والسباق والغلو فى تعزيز كيان المؤسسات المهلكة المدمرة أكثر من تعزيزها المؤسسات التى من شأنها التأمين على حياة الانسان وضمان نموها، وها كم التشكيلات العالمية الحاضرة التى معظمها يستند الى فلسفة فاسدة فى تفسير التاريخ دفاعاً عن تلك المؤسسات وعلى فلسفة علمية مغلوطة فى تفسير النمو و الارتقاء، تبريراً لتلك السباق والغلو . واليكم الاعتقاد بصحة وقدسية التقاليد الموروثة فى الدين و الدولة والاعتقاد ببقاء الانسب، اللذين يحملان بذور الفساد و الشر فى هذه المدنية التى لا يسهل فيها على احد مطلقا تعيين أى التقاليد اصح ، أو تعيين من هو الانسب بعد التسليم بقدسية تلك الاعتقادات . هبوا انه حصل خلاف كما هو حاصل على الدوام — على تعيين ذلك، فكيف نحله يا ترى فى هذا العصر ؟ واذا سئلنا عما اذا كان فى إمكان هذه التقاليد ولهذا الانسب ، قوة يستند اليها غير السلاح والغش فى استمرار بقائه ، فاذا يكون الجواب ؟

لاشك فى أن الحرب العالمية الاخيرة وماتنتج عنها من مسائل عالمية ، كشفت ستر الرياء الذى كان يغطى بتبجح العالم الحاضر بمدنيته ـ وانتم ادرى بما كان للتصديق بذلك التبجح من العواقب. هذا ولا تظنوا أن « حليمة » قد غيرت عادتها بعد الحرب. فاليكم المؤتمرات الآخذة بالانعقاد فى اوربا حول تحديد السلاح او بالحرى تحديد الشر ، او التى بحسب الظاهر ، تدل على تطور فى اخلاق « حليمة » غير ان النتائج لا تتقدم لاسباب. ذلك محال الا فى عالم المعجزات، وعلينا أن لانصدق الدعايات المنظمة لحملنا على الانخداع

بمثل هذه المظاهر قبل أن نتأكد من أن مناهج التربية فى العالم قد اخذت فى الاعتدال والاتجاه نحو الغاية التى تدعى انها تسعى لتحقيقها . فبالنظر الى حالة المدنية الحاضرة واوضاعها واشكالها ومؤسساتها ، وذلك فى السياسة والدين والصناعة والتجارة والزراعة والتشريع والعقائد والتقاليد والآداب والاخلاق وفى الانتاج والتوزيع والاستهلاك وفى الضرائب ، وبمقتضى رغبة الانسان فى اصلاح شأن المعيشة والحياة فى ميادين العمل كافة ، لا يسعنا الا التسليم بأننا على اساس مناهج التربية المبنية على أن الحياة فى الانسان كما هى مقدسة فى الواحد كذلك هى فى الآخر مقدسة فوق كل مقدس، وأن غايتها الاستمرار على النمو المطرد من الحسن الى الاحسن والافضل والاغنى وبتهيئة الوسائط لتحقيق ذلك نستطيع ان نصلح مؤسساتنا ، ونعدل أوضاعنا ونشيد هنا وعلى هذه الارض المدنية « الطوبى » التى ستكون مع شيء من التعديل ، كجنة الآخرة اوكملكوت السماوات . وعلينا ان نطالب القوى بأن يبدأ على هذا الاساس فى تربية امته قبل الضعيف الذى قد سلم بهذه القضية بحكم الضرورة

وربما يميل البعض الى الاعتراض على هذا الرأى وينتقده من حيث هو عبارة عن صورة تستند الى التمنى والخيال ، ويقول أن لدينا من المسائل القريبة والمستعجلة مايتطلب المعالجة والحل اليوم وغداً ، واننا مقيدون بمناهج فى مدارسنا وقوانين فى البلاد واوضاع عالمية قاهرة مسيطرة ، لاغنى لنا عن اتباعها ومراعاتها ، لا فرق بين ان نعتقد بصوابها او بخطئها ، وربما يتسرب اليأس والقنوط الى البعض على اثر ادراكه مهمة الاصلاح العظيمة فى التربية التى تدعونا اليها تلك النظرية فى الحياة . غير انه لم يفتني اعتبار مثل هذا الاعتقاد ، ولم اقصد أن اميل بالقراء الى ترك المسائل القريبة والمستعجلة ولا نويت ان اوهم ليأسوا ، بل قصدى هو ان تتبينوا هذه النظرية وعلى ضوئها تنظروا فى أعمالكم اليومية ، وفى وسائط الحياة التى بأيديكم والى الكتب والاخبار التى تطالعونها لاعتقادى بأن ذلك مما يقرب اليكم فهم التربية ، ويخفف عليكم عبء الحياة ، بأدراك غايتها منكم ، وفى الغير ممن لهم اتصال بكم ، لا كمدرسين ومعلمين لا غير ، بل كآباء وأخوان واصدقاء .

عملية التربية

يقول علماء الطبيعة

لافراغ فى الطبيعة . وانا اعتقد ان لا توقف فى الحياة ،وان اى عمل كان من أعمال الانسان ، لافرق بين ان يكون داخليا فى نفسه أو خارجيا فى البيئة ، له اثره فى حياة الانسان ، لدى معاناة هذا اياه فيها ،وبعد ذلك . وهذا الاثر فى اثناء حدوثه ، ينشىء مظهرا تربويا فى حالة التكوين اما بعد التكوين ، فيصبح عاملا تربويا فى الاعمال التالية . هكذا نرى ان التربية تستوعب الحياة،وهى جارية ما زالت الحياة جارية .

لينظر كل منا فى تاريخ حياته ويستقرىء الحوادث التى مرت عليه ، والاختبارات التى حصلت له منها وليتبصر الى العوامل المباشرة وغير المباشرة القريبه والبعيدة التى اثرت فى تربيته وصيرته فلانا مدرسا أومعلماً الآن ، وليحكم بعدهذا فيما إذا كان فى استطاعته حصر تلك الحوادث، وتعيين أثرها فى تربيته وحياته واحصاء تلك العوامل وحصر نتيجتها فى تكييف اخلاقه وطباعه واقتداره وذكائه الخ . . فاذا كان فى استطاعتنا ذلك،ففى أستطاعتنا اذن الجواب على عملية التربية وكيفية حصولها،وبذلك نجيب على أعظم سؤال فى التربية والحياة معا

هذا واذا كان من الصعب علينا استقراء تاريخ حياتنا للجواب على كيفية تربيتنا ، فأطلب اليكم ان تفكروا فى كيف نربى الآن ،ولنجرب طريقا اسهل ليحل الآن كل منكم وعيه من قيد الانتباه إلى البحث الذى نحن بصدده ، وليترك ذاته على سجيتها لحظة من الزمن ، تنصرف إلى حيث تشاء من التكفير والاهتمام ، ثم عودوا وافكروا بما جال فى رؤوسكم من الأفكار ، والى اين اتجه همكم ، واسألوا همكم لماذا فكرتم واهتممتم ببعض الامور دون سواها . فماذا يكون الجواب ؟ ان الامور التى تشغل أفكارنا واهتمامنا الآن قبل غيرها ، تعمل فى تربيتنا الآن اكثر من غيرها . كذلك الاعمال التى سنقوم بها بعد ساعة وبعد يوم ،ستعمل فى تربيتنا أيضا. فأعمالنا اليومية والنتائج التى نحصل عليها بنتيجة التفكير والاهتمام والعمل ، هى عوامل التربية . فتحديد معنى التربية اذن هو أنها نتيجة (كيفية) الحياة التى يختبرها الانسان من لحظة الى لحظة على الدوام وبلا انقطاع .

اذا سئل أحدكم اهو ابن امه أم ابن أبيه ، فالجواب العلمى يكون انه ابن الاثنين ، وان جميع ما لديه من الصفات الموروثة هى نتيجة لعملية زواج والديه . كذلك ماهية شخص ما من حيث الذكاء والعلم والاخلاق، الخ هى نتيجة عملية اختبار هذا الشخص

شؤون الحياة التي عاناها منذ ولد في هذه الدنيا ، وربما من قبل ذلك ، الى أن يموت . هكذا نجد أن حدود التربية هي من حيث الزمن مدة الحياة على سطح الارض ومن حيث الكيان هي الانسان وكل مايتصل به بالاختيار . ونرى أن عواملها لاتنحصر في المعلم ولا في المدرسة ،بل أنها كائنة في كل مكان يتصل به الانسان وموجودة في كل شيء مدني يستخدمه البشر في حياتهم المدنية من وسائط مادية كالسيارات مثلا، أوامور معنوية كالاعتقاد بالله . كذلك هي حاصلة في حياة الانسان على الدوام وأمرها واقع لامحالة ، شئنا أم لم نشأ ولافرق بين أن نهتم بها ونتسلط على عواملها ونحسن شأنها، و بين نتركها للفوضى ، ونسيء فهمها ونفسده ، و بذلك نفسد الحياة ونجعلها عبئا ثقيلا علينا .فحد التربية الحياة

التربية في العراق

أن تجارب البشر هنا وهناك ، واختباراتهم ،اثبتت أن للمدرسة اثرا قويا جدا في المجتمع والآراء الحديثة في التربية والسياسة والاجتماع ، على أن المدرسة تكون افضل واسطة لتربية الامة . غير أن هذا البيان يعني ايضا أن المدرسة تكون افعل واسطة لسوء استعمال التربية وفساد المجتمع . والاختلاف كبير في النظريات حول كيفية تأسيس المدارس ودور التربية مابين رجال التربية انفسهم من جهة ، ومابين هؤلاء وبين رجال السلطة في الحكومة والدين والصناعة والتجارة وغير ذلك من المؤسسات الاجتماعية كالبيت والعائلة وغيرهم من جهة ثانية . والخلاف واسع جدا ومستحكم في الاشكال . فالبعض يقول بأن المدرسة والمدرس هما مبدأ الاصلاح وعليهما تقع مسؤ ليته ، والبعض يقول بأن التشريع هو مبدأ ذلك ، وأن رجال السلطة في الحكومة هم المسؤلون . اما اذا قلنا إن المسؤولية تقع على الجميع ، وأن لافرق بين ان نبدأ من هذه الجهة أو من تلك ، على ان نبدأ بشرط ان لايقاوم احد هذين الفريقين الآخر ، بل يساعده ويعضده ،فيكون قولنا اقرب الى الصواب وادعى للعمل واصح حجة على القعديين والسفطائيين .

يقال ان الخلاف الاول الذي حصل حول مهمة المدارس وقع مابين الفيلسوف العظيم « سقراط » والفيلسوف النبيل «افلاطون » لما كان هذا يكتب « جمهوريته » . قال افلاطون لاستاذه انه اذا أردنا اصلاح المجتمع فعلينا أن نؤسس مجتمعا تحكم فيه فلاسفة. فسأله سقراط . من اين تأتي بهم ؟ فأجابه نعلمهم . فابتسم سقراط وكان في

ابتسامته الجواب الكافى الذى مفاده اننا متى علمنا الانسان الفلسفة ، نكون بذلك قد قضينا عليه كفيلسوف . وهكذا نجد الخلاف فى هذا الشأن واقعا الآن مابين رجال التربية فى الاقطار المختلفة ، كما وانه واقع فى هذا القطر مابين الرجال المسئولين . فمسألة تربية الاولاد لخدمة البلاد اذن ، مسألة فيها نظر .

ذكرت فى مبدأ البحث أن على المربى أن يسير ضمن منهج يقتضى طريقة وأصول معينة ، وانه بالرغم من ذلك كثيراً ما يفشل فى انتاج الصفات المطلوبة . فلنأخذ مسألة الفشل قبل البحث فى المنهج والاصول ، ولنحصر كلامنا فى ما يصيب تربية الانسان منها

لو نظرنا فى حالات الفشل التى تحصل عادة ، ليس فى ميدان التربية لا غير ، بل فى جميع ميادين الحياة الاخرى ، لوجدنا أن هناك عدة عوامل رئيسية أساسها واحد ، وأنه منشأ حالات الفشل كافة . منها ايجاد الأمل فينا بالحصول على شىء فى جهة معينة حيث لا مبرر لهذا الأمل ضمن مقدور تلك الجهة ، أى حبنا للسحر وتعلقنا بالمعجزات ، ومنها تمردنا المستمر على الطبيعة ، وعدم اعترافنا بالأمور الراهنة ، وسعينا المستمر لوضع قوانين ثابتة لعالم متطور متبدل . ومنها عدم افساحنا المجال للأشياء المجهولة ، كى تلعب دورها فى النتائج التى نسعى لتحقيقها . أما الأساس فهو الغطرسة أو الكبرياء ، التى هى بنت الجهل . فلو اقتصرنا فى تربيتنا الاولاد لخدمة الوطن على المقدورات التى هى قيد التحقيق ، وتركنا المكابرة والتمرد على الحقائق ، لضمنا بالفعل خدمة الوطن الى حد بعيد ، ولتجنبنا الفشل فى كثير من الحالات

ان خدمة الوطن ليست بالشىء البعيد عن الاختبار اليومى : والوطن هو أنتم ومصالحكم فى البيت وفى السوق وفى الحقول وفى الوظيفة وفى الطبيعة والجغرافية والفن ، وعلى الجملة فى كل ميادين الحياة وشئونها التى تعانونها يوميا . كذلك هو أجسامكم وعلمكم وأخلاقكم ومهارتكم وثروتكم الى غير ذلك . وخدمة الوطن هى خدمة ذلك كله . والمسألة الجوهرية فى الموضوع هى كيفية الحصول على تربية الامة لتحقيق تلك الخدمة . غير أنه من المحتم علينا تعيين الداء قبل وصف الدواء . وإنما فصل الخطاب هو عملية المداواة

لقد أجمعت آراء المفكرين فى هذا القطر على أن التربية

القومية التي ورثناها من العصر الغابر ، سيئة وعاجزة عن تعهد القيام بشؤون مصالح الامة حسبما يتطلبه منها الوضع في هذا العصر الحديث. والصحف المحلية وكذلك الآراء هنا وهناك ، آخذة في التدليل على القصور والعجز في قيامنا بالشؤون ومعالجة الأمور . فالاحساس بالنقص موجود ، والتفكير في شأنه موجود ايضا . غير ان الاحساس بالمرض ومواساة المريض بالكلام والندب والبكاء ، حتى ولا العلاج ، كل ذلك بكاف وحده. وزيادة على ذلك فأن هناك الخطر الاعظم على المريض من التدجيل

ان معالجة المشكلات في هذا العصر قد توصلت الى حد يضمن النجاح لدرجة ما. وذلك عن طريق توزيع العمل بموجب الاختصاص. فالسلطة المسؤولة عن الاصلاح تدعو لجنة اختصاصية وتعهد اليها بدرس الحالة التي تنوي معالجتها وهذه اللجنة تقوم بكشف عام عن تلك الحالة وترسمها رسما دقيقا يبين وقائعها ، وتبين كيفية توصلها الى رسم هذه الوقائع، ثم تدعو لجنة ثانية تعرض عليها ما توصلت اليه اللجنة الاولى فاذا وافقت هذه على صحة عمل تلك، كان بها، والا فيعاد الكشف الى أن تتقرر صحة الكشف الى درجة قريبة من الخطأ أو الصواب. ثم بعد هذا تدعو السلطة المسؤولة لجنة اختصاصية لوصف العلاج فتقوم هذه بشرح اسباب الحالة التي تشتمل على وقائع الحال وتصف العلاج وطريقة المعالجة. ثم تدعو لجنة اختصاصية اخرى وتعرض عليها مقررات اللجنة الاولى لتدقق في صحة هذه المقررات الى درجة قريبة من الخطأ أو الصواب. واخيراً تقوم السلطة بتهيئة ما يلزم بناء على تلك المساعي، وتشرع في التطبيق. وكذلك عليها أن تقوم على الدوام باستشارة تلك اللجان واطلاعها على عملها ومن الخطأ البالغ المؤدي الى الفشل حتما أن تتصور السلطة أن في وسعها معالجة الاصلاح من غير درس وجمع الحقائق عن وقائع الحال

فلو اتخذنا هذه الطريقة أساسا لفحص طريقة معالجتنا تربية الاولاد لخدمة الوطن، فماذا يكون الجواب؟ أين البيان المدقق الذي يطلعنا على المسائل التي نحتاج الى معالجتها في تربية الاولاد؟ وما هي هذه المسائل ياترى ؟ وما هي طرق الحل المنقحة المطلوب منا اتباعها ؟

إن تربية الامم لا تقوم باتباع طريقة الاوامر والنواهي، وطريقة الكيف. كذلك لا يجوز لاحدنا مطلقا أن يتصور أن بينه من يستطيع أن يفكر بجد أن في مقدوره القيام بوضع منهج لتربية الامة من دون أن يستعين بغيره من رجال التجارة والصناعة والزراعة و باقي

المؤسسات التى تؤلف حياة المجتمع . انى لا انكر أن هناك جهود كثيرة تبذل فى معالجة تربية الامة من نواح مختلفة . لكن هل هذه الجهود ياترى منظمة وموحدة، وهل هى مستندة إلى حاجات البلاد؟ هل لدينا دائرة اختصاصية تكشف لنا عما اذا كان ما توصلت اليه هذه الجهود صحيحا ومفيدا ؟ ذلك ما لا يسعنى الجواب عنه .

والآن دعونا ننظر إلى ما يخص المعلمين من هذا الموضوع ، ونلقى نظرة على مدارسنا : يقال إن العالم هو المدرسة الكبرى، وانا اعتقد أن المدرسة هى العالم الصغير النامى والعالم الاختبارى للنشء الجديد الذى سيدخل المجتمع شيئا فشيئا ويشترك فى شؤونه تدرجا ، والذى هو فى الاخير وريثنا فى الاعمال التى بايدينا الآن . فيشترط فى المدرسة أن تكون صورة طبيعية للمجتمع الذى نتمنى أن نحله محل مجتمعنا الحالى ، بمعنى أن تكون المدرسة نسخة حقيقية مصغرة للحياة المعدلة بمقتضى تلك الصورة ، حتى اذا ما اختبرها النشء الجديد وتربى عليها ، ثم خرج إلى العالم الاوسع يكون عندئذ فى مقدوره تحسين المجتمع الحالى . أما أن تكون المدارس محلا لما يسمونه بالدرل (Drill) (على وتيرة واحدة) ولدرس النظريات والدعايات ، فذلك ادعى للفشل وخيبة الامل . ان لفظة طالب فى اللغة العربية تعنى أنه يطلب ، والحياة فيه تطلب وتطلب ، واعتقد أن هذه اللفظة أفصح تعبير لمسماها فى فكرة التربية . فالولد فى المدرسة طالب والمدرسة والمعلم والمنهج والدائرة تعرض ، وهى وسائط للعرض . فلتكن هذه الصورة على الدوام أساسا لتفكيرنا كمعلمين ومدرسين ورجال معارف ، لنرى دائما ماذا يطلب الطالب وماذا نعرض عليه فى مدارسنا .

الطالب جسم حى صغير يطلب النمو والزيادة فى عضله وكافة قواه وقابلياته وفى نفسيته ، ويتطلب القوة والاقتدار والحذق والمعرفة ويتطلب فوق كل ذلك المناعة التى تحميه من العدوى من الامراض الاجتماعية التى سيتعرض لها فى حياته الكبرى . وانه من شروط تأسيس دور التربية أن تتوفر فيها الوسائط التى تقوم بما يتطلبه ذلك النمو وتلك القوى ، وبحث هذه الوسائط يؤلف موضوعا واسعا فى علم التربية كتبت فى شأنه المؤلفات العديدة . غير أنى اعتقد بانه مهما اضطربت الآراء ، فان المدرسة لا تصلح للتربية اذا لم تجمع ميادين اللعب والمكتبات والمختبرات والقوانين المشجعة لتقوية الطالبية فى الصغار بحرية تامة والمعلمين الذين يشعرون بانهم واسطة ، ويرسم الخدمة لطلابهم لا أسياد لهم

انا لا أرى مدارسنا الحاضرة تصلح بشرط من الشروط المتقدم ذكرها لتربية الأولاد للغاية التي تتطلبها الحياة منهم ، وهي بحسب اجتهاد الشخص مدعاة للفشل المحقق في تلك الجهة

يأتيها الطالب وهو قذر وضعيف في جسمه وعقله واخلاقه . فيدخل المدرسة التي عوضا عن ان تسعى قبل كل شيء الى القيام بعملية تنظيفه و تقويته لمقاومة الفساد الاجتماعي المنتشر في خارج المدرسة ، تتركه على ماهو عليه من القذارة والضعف، وتبدأ بالتدريس له وتعليمه على اصول هي بطبيعتها مدعاة للفساد .

يأتي الطالب المدرسة مشبعا بالعقائد الفاسدة والأوهام جبانا غاشما مستسلما مستصغراً نفسه كذوبا غشاشا . فماذا نعمل به؟ نزيده تمسكا بعقائد لا حاجة له بها في حياته، ندرسه ما يستحيل عليه فهمه وادراكه مما يصبح عقبة في سبيل نموه و نعامله بالغطرسة والكبر ، ونطلب منه بعد ذلك أن يكون شجاعا مقداما مفكرا شهما . فهل تكون النتيجة غير زيادة في القذارة والضعف

كثيرا ما فكرت في الجهة التي تسير فيها التربية الحاضرة في البلاد فلم أجد لها في المدارس من أثر يبرر الامل بأعداد الرجال لخدمة الوطن . وانما وجدت ان مدارسنا وياللاسف واسطة للمحافظة على الاوضاع الحاضرة أكثر من اصلاحها . وطلابنا عموما يعيشون فيها حياة غير طبيعية ولا هادئة، بل انهم يعيشون حياة هياج وحماسة مبنية على «الفيتليزم» والفوضى. واصلاح التربية في البلاد لا يبدأ الا بالقضاء على نزعة الفوضى وقطع دابر « الفيتليزم » وادخال الفلسفة الايجابية بتأسيس فكرة يؤمن بها كل طالب وينشأ عليها محصلها أن لحياته كفرد معنى واسعا، وان لحياته في المجتمع معنى أوسع .

الأدب القصصي المصري

(بمناسبة صدور كتاب مختار القصص للأستاذ الكبير كامل كيلاني — طبعته دار
(المصور ونشرته مكتبة الوفد)

(١)

ستظل تشكو قلة القصص فى الأدب المصرى مع وفرة ماتنشره الصحف وتخرجه المطابع وستظل تشكو هذه القلة أبداً حتى نخلص منها إلى شكوى التخمة القصصية يوم تجتاح القصص كل فنون الأدب المصرى وتسد علينا كل منافذه. وفى الحق إن فن القصص المصرى قد أخرج لنا الى الآن عدداً لا بأس به من الأقاصيص العصرية المؤلفة ولو أن الروح القومية روعيت فيها كلها لأصبح صرح هذا الأدب الجديد فى مصر متين الأساس ولكن الواقع أننا متأثرون — حتى فى أدبنا القومى — بالبيئة الغربية والوسط الغربى والروح الغربية الروائية فى معظم ما يظهر من القصص فى الأدب المصرى. فهى كلها لا تمثل من الحياة المصرية إلا النواحى الوصفية وكفى. أما تصوير البيئة المصرية والروح المصرية أو بمعنى آخر تصوير العاطفة المصرية الصحيحة، فلن تعثر عليه فيما يتفق لك من قصص مصرية ولن تجد كاتبا مصريا يعنى بتصوير هذه الناحية — وقلة عنايته هذه لا ترجع إلى عدم اهتمام بها ولكنها ترجع أكثر الى القصور أو بعبارة أصرح الى الجهل والعجز. لا أقول إن كاتباً لم يحاول تصوير العاطفة المصرية فى الأدب القصصى المصرى الجديد، ولكنى أقول أن معظمهم إن لم يكونوا كلهم — قد أخفقوا فى ذلك ! وظلهم متأثر فى تصويره بالمجتمع والبيئة الغربية أو بمطالعاته فى الأدب القصصى الغربى.

وقد يكون صحيحاً أن الحياة المصرية والمجتمع المصرى بتقاليده الحالية وفى موقفه الشاذ الحاضر، لا يمكن أن يلهم المؤلف محوراً لقصة طريفة ! قد يكون هذا. ولكن العاطفة موجودة فى الحياة المصرية على كل حال وتصويرها على حقيقتها الراهنة

الآن هو الأساس المطلوب للأدب القصصي القومي في مصر

و لذلك كله سرني كثيراً أن يظهر « مختار القصص » وأن أعثر فيه على سبع قصص مصرية تصور الحياة المصرية في البيئة المصرية بروح مصرية أو بالحرى تصور العاطفة المصرية سبع قصص يمكن أن تعتبرها نواة صالحة لحياة أدبية قصصية جديدة وهى كلها تصور أيضا الحياة القومية المصرية البسيطة بل الساذجة وأقصد تلك التى لم يعقدها امتزاجها بالحياة الغربية والشرقية الأخرى امتزاجا مشوشا تركها خليطاً مضحكا من عادات وتقاليد لا اتساق لها ولا رابطة بينها، أقول أعجبني من الأستاذ كامل كيلانى أن يعمد إلى تصوير هذه الحياة المصرية البريئة التى لم تعكرها اللوثة الدخيلة، وأن يؤثر تصوير البيئة المتوسطة ويفضلها عن الحياة العصرية الراقية المتكلفة التى لم يستقر لها قرار بعد والتى تتبدل كل يوم فى شكل جديد !

(٢)

و « مختار القصص » كتاب حسن المظهر أنيق الطبع وحسبك أن أذكر أن « دار العصور » هى التى تولت طبعه وأن « مكتبة الوفد » هى التى عنيت بنشره لتتصور الشكل الذى يصدر به كتاب أدبى اجتمعت له هذه الأسباب . ويواجهك من الكتاب تصدير للناشر يقدم لك فيه الأستاذ كامل كيلانى بدراساته الجديدة فى الأدب العربى وعنايته بالأدب القديم والكتاب مصدر أيضا بقصيدة رائعة للدكتور أبى شادى فى (الأدب القصصى) ولعلها الاولى من نوعها أن تحلل هذا الادب الجديد وهى وإن كانت موجهة للاستاذ كامل كيلانى إلا أنه يمكنك أن تعتبرها مثلا توجهه للكاتب القصصى المصرى المنتظر وأنت إن أقبلت عليها فلن يسعك الآن تعجب بمطلعها

إن الحياة ــ اذا اعتبرت ــ رواية فاستوح من قصص الحياة جمالا

ولن يسعك إلا أن تزداد إعجاباً عند هذا المعنى المبتكر :

فترى التأنق فى حياة سطوره ● وترى الحياة بما تفيض جلالا

ولا أظنك تمر على هذا المعنى دون أن تستعيد البيت ليتم استمتاعك به :

وترى التصرف بالحوادث زادها ● خلقاً وزاد ما لها آمالا

ثم تفرغ من هذا كله إلى مقدمة للاستاذ العلامة الجليل اسماعيل مظهر بك فى القصة

وتشأتها وتطور فكرتها، ولا أحسبك تطمع أن تروى غلتك في مثل هذا البحث من غير الاستاذ مظهر بك، فانه ينتقل بك من تحليل بارع من صورها الاولى وأثرها في حياة الانسان الأول إلى تطورها الديني وتكييفها لمعتقدات البشر أو تكييف المعتقدات لها، ثم الى ازدهارها واتساع أخيلتها لما جاء القرن الحادى عشر ولم يتغير الكون مع انهم كانوا يعتقدون نهاية العالم، وهو يبحث معك كل هذا في أسلوبه العلمي الاستقرائي الطريف

والكتاب مع ذلك مقتطفات من كتب ثلاثة :

الأول — كتاب «مختار قصص السينما»

والثاني — كتاب «قصص بوكاتشو»

والثالث — كتاب «قصص مصرية»

ولن نعرض هنا إلا للنوع الأخير أي القصص المصرية وسندرسها وننقدها معاً ملين أن تكون لنا عودة للنوعين الآخرين في فرصة أخرى ذاكرين أن الأدب القصصى الجديد (ونقصد ذلك الذى يصور العاطفة المصرية كما أسلفنا) لم يبرح أطواق الحداثة بعد وإن الاستاذ كامل كيلانى هو أول كاتب قصصى مصرى، أمكنه أن يصور العاطفة المصرية في بيئة مصرية خالصة ومجتمع مصرى بحت، أما ما قد يكون لدراستنا من ملحوظات نقدية فهي ما لابد منه في مستهل مثل هذا الأدب الجديد.

(٣)

وأول القصص التى سندرسها معاً هي «سنية» وأنت تشعر اذ تقرؤها أنها تسير سيراً حسناً معقولا إلى أن يستحكم الحب بينها وبين «محمد» والاستاذ كامل كيلانى حريص (في كل قصصه تقريبا) على أن يفجأك باستحكام أواصر المحبة بين ابطاله رأسا وهو لا يريد أن يرهقك أو يشجى عواطفك بشرح أدوار الغرام التى أدت إلى استحكامه ثم إن أباه الشيخ ابراهيم، الرجل الصالح التقى الورع، «نهج نهجا مدهشاً فقد غضب وخرج عن طور الرزانة والحلم اللذين اتصف بهما، لما فاتحه ابنه محمد بأمر زواجه من حبيبته سنية ومانع بشدة. ولكن ذلك لم يزد محمدا إلا تعلقاً بفتاته فخاف عليه من الجنون ووعده بذلك، ولكن يعمد بعد ذلك إلى خطة غريبة حقا. فانه يعلم مبلغ حب محمد للفتاة، الحب الذى خشى أن يسبب له الجنون ان حرمه. وهو مع ذلك يرسله إلى

الريف فى مهمة خاصة و يوهم سنية انه هجرها وانه لايحبها ، (فتبعث اليه بخطاب قاس تعاتبه فيه وتقاطعه وتعلنه بزواجها من ابن عمها (ودائما ابن العم فى كل قصة وعند كل كاتب قصصى) يصفق الشاب لهذا النبأ و يسقط مغميا عليه ويعود للقاهرة فى نفس اليوم و يعيش مسلوب اللب فيهجر مدرسته ودراساته الأخرى و ينصرف إلى تأملاته الحزينة و يأسه المميت ، و يظل هكذا ستة شهور يسمع بعدها عرضا أن حبيبته قد زفت الى زوجها العنيد منذ يومين فقط ، وتتقرح فى نفسه جراحات القلب التى كادت تندمل فلا يحتمل آلامها و يظل يتململ حتى يخلصه منها ماء البحر !

والقصة بهذه الخاتمة لا تخلو من بعض تصرفات شاذة ، فان الشيخ ابراهيم الذى كبح جماح نفسه أولا ، ووعد ابنه « محمداً » بزواجه من حبيبته « سنية » لأنه لما حاول الاعتراض رآه « يهذى فى نومه وفى يقظته » ولأنه « كان وحيد أبويه » ولأنه « خشى أن يصيبه مس من الجنون » — الشيخ ابراهيم الذى يقدر كل هذا و يخشى عواقبه فى أول الأمر فيعد وحيده بالزواج من حبيبته لما لم يجد من ذلك مخرجاً ، لايعقل أن ينقلب على ابنه فجأة فيدبر له هذا الأمر الذى يسلبه لبه و يفقده الوعى ، ثم انه يراه وقد هجر مدرسته وانصرف الى تأملاته الحزينة و يأسه المميت ، ولا يحرك مع ذلك ساكناً ، لا يلوح له ببارقة أمل وهو يعلم أن الفتاة لم تتزوج بعد ، ولو ان له تلك النفس الأولى التى تجزع إذ ترى وحيدها مهدداً بالجنون فتعده بأمنيته : لو ان له تلك النفس لما أمكن أن تطمئن إلى تركه مشرداً تائه الفكر واللب مصعوقاً مع ان الحل بسيط ، فقد مكثت الفتاة ستة أشهر لم تتزوج خلالها كما أوهم ابنه . ثم إن والد الفتاة وإن كان وضيع المركز إلا أنه « عالى النفس تزينه الأمانة والاستقامة وتحليه الصدق والاخلاص والنزاهة » يشهد بذلك الشيخ ابراهيم نفسه الذى « رأى من أمانته واستقامته مازاد ثقته به » !

اسم القصة « سنية » ، ولكن محورها كان يدور حول « محمد » وحده ، فقد تتبعه المؤلف وحلل شخصيته بأسهاب واستقرأ خواطره وآراءه فى شتى الحالات ، وقد شرح لنا فعل الحب به ؛ ولكن لم يشرح فعله « بسنية » ، والفتاة كانت تحمل للفتى مثل حبه ، ولكنها مع ذلك استقوت على الحب ، وعلى مقاطعة الحبيب ، وعلى الزواج من غير الحبيب دون أن تحدثها نفسها بشىء ، بينا نفس « محمد » تحدثه بأشياء لم يخلصه منها سوى الانتحار !

ويكاد يبدو الاقدام على الانتحار غريباً، ويكاد يكون من ذلك النوع الذى نعاه على القصص المصرية المنتشرة الآن والمتشبعة بالروح الأجنبية والبيئة الأجنبية، والتى نود أن نخلص منها إلى القومية المصرية البحتة التى يجب أن تصبغ كل مظاهر قصص الأدب المصرى القوى المنشود.

وإذا كان المحب الغنى الحسيب قد انتحر لأنه لم يتزوج من فتاة فقيرة وضيعة الحسب تبادله الحب فقد كان الأولى أن يسبق إليها هى خاطر الانتحار إن لم تسبق هى اليه.

*
* *

— ٤ —

ونفرغ من « سنية » أولى القصص المصرية بأمرين:

أولهما: — أن الاستاذ كيلانى قد وفق إلى أبعد حد فى تصوير العاطفة المصرية فى بيئة قومية: فيكان بذلك أول كاتب قصصى استطاع أن يصوغ لنا قصة قومية مصرية بحتة.

ثانيهما: — أن الأستاذ كيلانى رغم دقة تصويره، ورغم توفيقه فى هذا التصوير يتعجل انتهاء قصته قبل مناسبتها فيضطر الى الاتجاه الى الروح الغربية والفكرة القصصية الاجنبية التى لاتصلح أساساً لقصص قومية لبعد الاختلاف بين الحياتين والبيئتين

وسنرى معاً كيف أن الاستاذ كيلانى سار فى توفيقه الأول سيراً حسناً سريعاً، وكيف انه وإن لم يتخلص تماما من الأمر الثانى حاول أن يلازم الروح المصرية جهده.

والقصة الثانية التى ندرسها الآن هى « التهمة » — وأنت ترى فى مستهلها حسن افندى ضابط الجيش مطمئناً الى جلسته فى قهوة ببورسعيد؛ وأنت ترى الشاب الآخر الممتلىء الجسم القوى العضل يقترب منه وعلى وجهه آثار الاضطراب والذعر وأنت تجد حسن افندى يضطر مجاوزه أخيراً إلى مجالسة الشاب الغريب الذى بدأه بالتحية

ويبدأ الشاب قصته بصوته المتهدج المضطرب، فيروى لحسن أفندى كيف انه وزوجه نزلا إلى هذا البلد منذ شهرين وانهما قضياهما فى صفاء، إلى أن تعرفت إلى زوجه عجوز خبيثة أفسدت عليه أمرها، وكيف انتهى أمرهما اليوم إلى شجار كلامى عنيف صممت الزوجة بعده على مغادرته وهددته بالهرب إذا لم يطلقها، وكيف أنه أحكم عليها قفل الباب وانصرف يبحث عن وسيلة تقنعها بالعدول عن فكرتها وليس له فى البلد قريب ولا صديق، ثم كيف صار أخيراً حتى وقع نظره على حسن أفندى فشعر «بجاذبية عجيبة» له، ويختم حديثه اليه بقوله:

« وكأن هاتفا خفياً يهتف بى أن خلاص كربتى على يديك »!

وينتهى الأمر بهما إلى قبول حسن افندى القيام مع الشاب الغريب إلى منزله ليصلح بينه وبين زوجه! وأنت ترى أن حسن أفندى ضابط الجيش كان ساذجا إلى حد بعيد — ان لم يكن ابلها — فقد كان يجب أن يقدر — أن محدثه شاب مصرى هو فى الوقت نفسه زوج شابة مصرية اختلف معها لأسباب خاصة يظن هو أنها مفسدة لها، فمن غير المعقول أن يوسط فى الصلح بينه وبين زوجته الشابة — التى يغار عليها والتى كانت الغيرة السبب الوحيد فى اختلافهما — لا يعقل أن يوسط بينه وبينها شابا مصريا غريبا عنه وعنها، ولا يمكن أن تطمئن هى اليه اطمئنانا بريئا! كان على حسن أفندى أن يقدر هذا كله ويدرك أن فى الأمر سراً آخر، فقد أقدم الشاب الغريب على أمر قد يعد جرأة غريبة من رجل أوروبى فى بلد مثل باريس أو غيرها من بلدان الاباحية المتطرفة، فما بالك به فى مصر التى لا تزال ترسف فى أغلال الحريم والحجاب وما إلى الحريم والحجاب من تقاليد وقيود! ثم انها قد تبدو مدهشة لو صدرت من صديق خبر أحوال صديقه وسبر غوره وبادله الاخلاص الأكيد والثقة المطلقة، فما بالك بها من شاب غريب فى بلد كبور سعيد، لآخر غريب عنه وعن البلد ولم يريا بعضهما قبل الآن ولا جمعت بينهما غير ظروف خاصة غريبة؟ . .

وأغرب من كل هذا أن يذهب حسن أفندى مع الشاب إلى منزله فيدخله غرفة قاصية ويطلب اليه أن ينتظر ريثما يحضر اليه زوجته ليصلح بينهما! . ولو أنى رأيت هذا التصرف فى رواية سينمائية أوروبية إباحية، لما أعجبت من مؤلفها بمثل هذه الفكرة

الغريبة الجريئة ، فهل ترانى اطمئن اليها من مؤلف مصرى يصور الحياة المصرية فى بيئة مصرية خالصة !

وينتظر حسن أفندى ماشاء له صبره الطويل وهو لا يسمع حركة ثم يحس وحشة فى المنزل فيخرج من حجرته بحذر يتفقد المكان الذى ساقه اليه قلبه الطيب بل طيشه وعدم تبصره ولكنه لا يجد أحداً ! . . ووصل إلى غرفة رآها مظلمة ، أضاءها فوجدها حجرة نوم فخمة ، نعم لقد وجد سريرا من أفخم الأسرة ، فدنا منه ، ورفع اللحاف قليلا فرأى وجهها رائع الحسن . بسم ، وظن أن الرجل قد تركه فى الشقة ليصل به إلى هذه النتيجة ، وحسب الفتاة تصنع النوم . لمس كفها فوجدها باردة ، وتحقق من وجهها فرأى سمات الموت بادية عليه قليلا . . . رفع الغطاء كله ، فاذا رأى يا للهول — أمعاؤها خارجة — ولا تزال المدية التى بقرت بطنها فى صدرها غارقة فى دماء الفتاة !

نعم لقد وجدها قتيلة وليس فى الحجرة معها غيره !

ولا يكاد حسن افندى يستفيق من دهشته وذعره إلا وهو بين أيدى رجال التحقيق، وينكر حسن افندى طبعاً جريمة القتل التى ألصقتها به الظروف القاسية ولكنهم يسخرون منه وينصحونه أن يعترف بالحقيقة ! فقد اتفقت على إدانته أدلة قوية لا يأتيها النقض من جهة من جهاتها، ثم هو يستطيع بمشقة أن يثبت لهم براءته بشهادة الكشف الطبى وبشهادة غلام القهوة التى كان جالسا عليها حين جاءه الزوج لأول مرة ويقبض على الزوج الجانى فيعترف بجريمته وينال جزاءه .

* * *

— ٥ —

ونفرغ من هذه « التهمة » بأمرين أيضا :

أولهما — أن الاستاذ كامل كيلانى استمر موفقا فى تصوير العاطفة المصرية فى بيئة مصرية قومية تصويراً جديرا بكل إعجاب .

ثانيهما — أن الاستاذ كامل افندى كيلانى لم يتعجل هذه المرة نهاية القصة ، ولكنه تعجل تكوين « العقدة » القصصية ، ثم استمر هادئا موفقا فى دقة تصوير

بارعة وجاء ختام القصة نتيجة طبيعية للعقدة القصصية فكان من أسباب تبرير التعجيل الذى لجأ الاستاذ كيلانى اليه فى تكوينها .

ونترك (التهمة) لندرس معا القصة الثالثة (عزيزة) وهى أبرع قصة صورت العاطفة المصرية تصويرا صادقا مفصلا ، وحللت الحب فى البيئة المصرية المحجبة ورقبت أطواره فى نجاح وتوفيق . فأنت ترى عزيزة فى بداية القصة تنصرف عن اتقان هندامها وسائر ما يشغل الفتيات من سنها ، ترى تلك الفتاة النحاسية النحيفة التى تكاد مع ذلك تداق الرجل فى جرأته وقوة بطشه لا يشغلها إلا أمر توطيد مركزها ومركز أسرتها المتوسطة الحال فى ذلك الحى الفقير الآهل بالعمال والمساكين ، والا أمر آخر يدر على أمها بعض أخلاف الرزق ، ذلك هو قيامها ببعض أعمال تجارية بين القاهرة وبعض قرى المنوفية ، تحمل اليها الأثواب والأنسجة لتبيعها للقرويين ، أو لتبادلهم بها السمن والغلال وسائر ما يطمع مثلها فى الحصول عليه من المحصولات القروية .

وتصادف عزيزة فى تنقلاتها شابا فلاحا قوى الجسم مفتول الساعدين فيحبها وتحبه ، وينمو بينهما الحب سريعا فيؤرقها ويقض مضجعها ويشغل عليها كل أوقاتها فتكثر من التردد على ذلك البلد بمناسبة وبغير مناسبة وتلجأ الى جارها حوذى مشهور فى الحى بالحنق والبلاهة فتستودعه أسرارها وتتخذه وسيطا فى إرسال وتسلم رسائل الغرام بينها و بين معشوقها مقابل بضع قروش او علبة سجائر تجود بها عليه بين حين وآخر . وغير الحب أحوالها فانقلبت من فتاة (شرسة لا تتطرق الرحمة الى قلبها) ولا تعرف هوادة فى إنفاذ انتقامها المروع ، الى فتاة أخرى مستكينة هادئة قد هذب الحب قلبها وأذلها وكسر شكيمتها وأقض مضجعها وألجأها الى حوذى ما كانت تفكر لحظة فيه لولا هيامها بعشيقها الذى لا تحلو لها الحياة الا به .

وأنا أريد أن أقف بك هنا لحظة تستعيد فيها ما قرأت وتترك العنان لاعجابك بهذا القصصى الذى يوفق الى التسلسل الطبيعى الظريف فى ذلك التصوير الرائع للطائفة المصرية الخالصة فى البيئة المصرية البحتة، وليس أدل على ذلك من أن نعود بك الى صدر القصة لترى كيف تكاد تلهب نيران الغرام أحشاء عزيزة وكيف تنتحل الاعذار لتكثر من التردد عليه فى بلده وكيف ينتهى ولع الشاب بها بالنتيجة الطبيعية التى ينتهى اليها حب مثله إذا نال وطره . استمر معها نحو عامين تلاها زهده فيها وانصرافه

عنها وان بقيت هي تحن له الحب وترى فيه (المثل الأعلى الذى تصبو اليه نفسها) ! ويتمادى العشيق فى فتوره ، وعبثاً تحاول اجتذابه اليها ، فقد ملها وتاقت نفسه الى متعة أخرى ، تيأس « عزيزة » من حبه فيضنيها هجره ويمضها فراقه ، وتكاتبه فلا تحظى منه برد . وتحاول مقابلته فيتهرب منها فتنصرف عن هذا كله إلى ما تنصرف إليه المرأة المقهورة المغلوبة على أمرها : تلجأ إلى الدموع فى مذلة ومسكنة ، و تصبح وديعة حزينة ، وتسرى عدوى حزنها إلى أمها فتكفان عن أذى الناس ، ولا يمر زمن طويل حتى تنكب هذه الأسرة فى أملها الوحيد فى الحياة إذ يقع الابن الفرد تحت عجلات القطار فتقطع ساقه اليمنى وتصاب اليسرى بضرر جسيم .

تولول « عزيزة » ، وتلطم أمها الخدود وتشق الجيوب و ينخلع قلب الزوج و تقضى العائلة بقية أيامها فى أسى صامت تثيره تلك الساق التى وضع الاطباء بدلها ساقاً صناعية.

وتنشب الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ وتكثر الاضطرابات وتسمع « عزيزة » وهى تتناول عشاءها ـ صوت طلق نارى تعقبه صيحة يخيل إليها انها صادرة من شقيقها فتترك عشاءها وتهرول فى الظلام حتى تصل إلى ذلك الشخص الصريع ولا تكاد تميزه حتى ينهال عليها وابل الرصاص فتخر صريعة لا تنبس بلفظة !

°°°

— ٦ —

ونخرج من « عزيزة » أشد اعتقاداً فى توفيق المؤلف فى تصوير العاطفة المصرية فى البيئة المصرية وأكثر إعجابا بدقته فى التصوير وبراعته فى ترتيب القصة المنطقى. ونرى انه لم يتعجل هذه المرة « العقدة » القصصية ولكنه كان يساير المنطق القصصى فى هدوء ولم يتعجل الخاتمة كذلك وإن دس ثورة سنة ١٩١٩ لينتهى بها من « عزيزة » ويفرغ معها من القصة ! ولكنه مع ذلك تخلص معقول ؛ بل تخلص بارع بالنسبة لما يلجأ إليه غيره من القصصيين المصريين.

ونفرغ من « عزيزة » لنعالج دراسة « الشبكة » ولعلها أحسن وأمتع ما يحويه « مختار القصص » من القصص المصرية ولو انها تميل إلى ذلك النوع الوصفى الذى انصرف إليه كل كتابنا القصصيين ، ولكنها مع ذلك متعة بارعة التصوير ، فأنت ترى الحاج

على فى بدايتها بدأب على تكوين وتنمية ثروته المحصورة من طريق التجارة ، وأنت تراه أيضا بعد مضى خمسة عشر عاماً يستطيع أن يبنى له بيتاً قريباً من محل تجارته ويبنى، فى أسفله دكاناً خيراً من الدكان الذى كان مستأجره فى الزمن الأول .

ويظل الحاج على يعيش مع زوجه خديجة الريفية فى دور أرضى حقير يرزقان فيه بابنة وثلاثة أبناء ذكور ، فلما تحسنت حالتهم المادية انتقلوا جميعهم إلى المنزل الجديد .

وتدأب الأسرة كلها على تحصيل الثروة : الولدان الكبيران يساعدان أباهما بالعمل أجيرين، والأب ينصرف إلى توسيع تجارته والتحبب إلى عملائه فيقبل عليه الناس . بيد أن الابن الثالث كسول يميل إلى البطالة ولا تنفع معه شدة أبيه وصرامته والجهود العظيمة التى يبذلها فى إصلاحه ، ولكنه وضع لفساده حداً معقولا .

ولكن خديجة الزوجة الريفية التى قاست مع الحاج على شظف العيش تطلعت الى البطر ورأت من حرص زوجها عقبة لم تذللها إلا بالسرقة منه ، فاتفقت مع جارة لها فقيرة على نهب زوجها وتغفله ، تسرق لها ما تصل إليه يدها من مخازن زوجها وتبيعه لها الجارة وتشترى لها به ملابس وجوارب ومناديل وذلك أقصى ماتطمع فيه !

وكانت خديجة لاتتحرج فى تكليف ابنتها « سميرة » بالقيام بهذه المهمة تضع لها الجبن أو الصابون فى إناء قذر وتخرج به أمام والدها على انها تحوى أقذاراً تريد إلقاءها فى الخارج

ويموت الحاج على تاركا لأسرته ثروة لابأس بها ، بل هى كبيرة بالنسبة اليهم إذا أضفت إليها المنزل الذى بناه حديثا ـ ولكن الاعمال لاتلبث أن تختل إذ يندفع أصغر الأولاد إلى تيار الملاذ الجارف بعد أن زال الكابوس الذى كان مصدر مضايقته المستمرة .

يغلق محل التجارة بعد مدة و يباع أكثر البيت ويفلس القائمون باعمال التجارة بعد وفاة عميد الاسرة !

و يعود الولدان الكبيران الى مزاولة عملها الأول وهو على حقارته ومشقته لايكاد يسد الرمق، ويتمادى الاصغر فى ملاهيه حتى اذا نضب معين نقوده عمد إلى السرقة فيصادفه النجاح أول أمره، ولكنه لايلبث أن يضبط ويزج به فى السجن .

وما تزال المرأة والفتاة تعانيان شظف العيش وتقاسيان مرارة البؤس متحدرتين من سيء الى اسوأ حتى بلغتا أقصى حدود الشقاء ، وتسف الام بابنتها وتقذف بها فى الهاوية السحيقة فتتردى فيها الفتاة وقد فقدت أثمن ماتملكه الفتاة الشريفة اوتدور

الايام وتتزوج الفتاة من شاب فقير سليم الطوية كثير التغاضى يميل الى الدعة و يرى فى حسنها مايغنيه كل اعتبار آخر .

وتمر السنون متابعة . وتنتقل « سميرة » مع زوجها الهادى المسكين الى سكن ارضى ضيق مظلم يستأجرانه من شيخ محسن بأجر ضئيل يتنازل عنه بعد أن يتبين له فقرهما المدقع - هذا والسيدة خديجة لاتفتأ تتردد على منزل ابنتها مزينة لها الانسياق فى تيار الرذيلة تغريها حتى لسرقة الحيوانات الضالة فى الطريق ، وكم وقعت لها بطة سمينة أو أوزة تشبع نهمهاحيناً ،وكان الزوج يودع زوجته كل مايربحه وهى تدبر له أمر معاشه ،وكم كان معجبا بها وبتدبيرها الحسن عند مايجلس الى طعامه فتقدم له البطة أو الاوزة يستمتع بها وهو لايكلف نفسه مشقة التحرى عن مصدرها :

وزارت الام فتاتها ذات يوم، فرأت عند بابها ماأفعم قلبها سرورا وبهجة ،عنزة سمينة تأتى الى باب منزلها بقدميها ، ياللغنيمة !

كانت العنزة ملكا لصاحب مقهى مجاور للمنزل، وكان يقضى نهاره فى مراقبتها أو تكليف أحد غلمانه بذلك، وكان واقفا يلحظها وهى تتلكأ أمام منزل «سميرة » وحدث أنه غاب عنها داخل القهوة لحظة قصيرة لأمر ما لحظة قصيرة جداً . ولكنه لما خرج لم يجد عنزته المحبوبة . ووجد باب المنزل مغلقا. طار عقل الرجل. وهرول كالمجنون حتى وقف امام المنزل ونظر اليه فى تردد . ومرت اذ ذاك احدى نساء الحى وكانت ماكرة لئيمة ، ويظهر انها كانت ترقب افعال المرأتين وتضمر الشر لها وانتهزت هذه الفرصة فدنت من صاحب المقهى وهمست فى أذنه . وحدث أن مرت أخت الرجل . و يظهر انها كانت كأخيها معروفة فى « الحارة » بالحول و الجبروت . فانها ما كادت تعلم بقصة أخيها حتى هاجت وماجت وصارت تهجم على الباب تقرعه بعنف ولكن مامن مجيب . ويسمع الجيران بالامر ويتزاحمون على بيت «سميرة» ويتقدم جار لها يثق فيها و يتعهد للحاضرين باثبات براءتها بعد ان يؤكد لهم بعدها عن كل شين . ويدق الباب و ينادي على الفتاة بصوته فيسمع جوابا خافتا فاترا كأنما هو صادر من شخص يستيقظ من النوم . يسمع صوت يمهله قليلا حتى ترتدى صاحبته ثيابها ويفتح الباب بعد برهة ويندفع اليه الناس يفتشونه وتنسل السيدة « خديجة » والدة الفتاة بين الجموع المحتشدة بالباب ، ولايترك صاحب العنزة جزءا من البيت إلا يبحث فيه بدقه ولكنه لايعثر على شيء .

فيخرج آسفا على سوء ظنه بالناس ويعلو البشر أسارير «سميرة» وتندفع تندد لصاحب المقهى وباخته وتسبهما على سوء ظنهما بها وهى الفتاة الطاهرة الشريفة. وتسمع أخت صاحب المقهى هذا فتستشيط غضبا وتهجم على البيت كأنها تحقق هاجسا خفيا فى نفسها وتذهب الى مكان خاص فيه زير وتنظر فى ذلك الزير فلا تجد شيئا وبينا هى تهم بالعودة كاسفة البال اذ بالزير يهوى الى الارض فتسيل الماء ويسقط معه جسم العنزة وقد شطر شطرين!

يهلل الناس ويصفق الاولاد ويشتد الزحام وتساق الفتاة بين سخرية الجموع الى مركز الشرطة وقد حملت الماعز التى ذبحتها فى انية من اوانيها. ويرق لها قلب خصمها صاحب المقهى لما تقترب من مركز الشرطة فيعفو عنها بعد أن يتعهد له أحد المحسنين بدفع نصف ثمن العنزة وان عجزت هى عن سداده.

وتتوب «سميرة» عن السرقة بعد هذه «الحيكة» وتنصرف الى الصلاة والنسك!

***

— ٧ —

وأنت ترى انى لم أكن مبالغاً حين ذكرت لك أن «الهيكة» من أقوى وأبرع القصص التى تناولت الحياة المصرية وإن انصرفت كل العناية الى الناحية الوصفية، وان أريد أن أترك لك أمر دراستها فى مختار القصص ، فلم أذكر لك إلا ملخصاً أبتر ، ولست أؤكد لك أن تلخيصى هذا لم يشوه القصة ولم يمسخها، لأنها كما ذكرت لك من النوع الوصفى أو هى « صورة » يجب أن تلم بكل أركانها وتمعن فيها قبل أن تجازف برأيك ـ ولأجل هذا لا أود أن استلخص معك شيئاً من هذه القصة، بل أتركها لدراستك الشخصية وإن كنت واثقاً ان النتيجة فى الحالين لا يتنا ولها تغيير كبير . وهناك من القصص المصرية ـ غير «الهيكة» ـ ثلاث قصص أخرى لم نعرض لها هنا وكنا نظن أن فى المجال متسعاً لبحثها ودراستها ، وهى « المصادفات » و « المتردية » و « المفاجأة » ولن أشير عليك بأكثر من الرجوع اليها وقراءتها لتؤمن معي بأن الأستاذ كامل أفندى كيلانى كان موفقا فيها كلها إلى حد كبير ، فقد استطاع أن يصور لك كما قلت الحياة المصرية الصحيحة فى البيئة المصرية البحتة أو بمعنى آخر كان أول قصصى مصرى صور العاطفة المصرية فى أدب قومى جديد

***

تعمدت أن لا أتناول فى هذا البحث إلا نوعا واحداً من القصص التي حواها « مختار القصص » ومع ذلك لم يتسع المقام لدراسة هذا النوع الواحد وإن كنت قد ألممت بالفكرة إلماماً . وأنا أعتذر للقارىء عن هذا التقصير الذى لا بد لى فيه وان فاتنى أن أدرس معه قصص بوكاتشو التي تعد الضوء العالمى الذى قبس منه كل كتاب الغرب . إن فاتتنى هذه الدِّراسة الطريفة فلن يفوتنى أن أوجه نظره إلى « إوز فلورنسا » والهرم وتقويمه السنوى وقسوة زوج غيور وتغفل مزدوج وغيرها .

و الاستاذ كامل كيلانى — كما يقرر ناشر الكتاب و كما نعرف — أديب كبير معروف بدراسته الجديدة للأدب العربى فضلا عن صيته الذائع كأعظم حجة بيننا فى أدب المتنبي والمعرى وابن الرومى وقد شهدت على آثار مجهوده العظيم فيما درسناه له معاً من قصص مصرية ولعلك لا تتردد فى تصديقى اذا قلت لك إن الأستاذ كيلانى سكرتير رابطة الأدب الجديد بالقاهرة لا يجد الغرور اليه سبيلا فما زال بعد ما ظهر من إنتاجه ومجهوده مقدمات لما سيظهر ولا زال يسعى وراء النقد الحر بينما غيره يجرى وراء المادحين المتملقين وأذكر هنا أن الأستاذ كيلانى لما بلغه أنى أكتب عن (مختار القصص) كتب الى ما أثبته هنا حرفيا :

ولعلك تعرف ياسيدى الأخ أنى أرحب — أو على الحقيقة من أرحب الناس صدراً لسماع عبارات النقد لأنتفع بها فى القصص التالية — هل قرأت ؟ وهل شعرت بالفرق بين زعماء الأدب الجديد المتواضعين الداعين الى الأخاء والسلام الأدبى وبين المتألهين المتعجرفين الداعين الى التنابذ والفردية الأدبية الممقوتة ؟

ولقد اجتهدت أن أتسقط مواطن النقد فى « مختار القصص » ولكننى أعترف أنى لم أوفق وأن أضعف ما فى هذا البحث هى « مآخذ النقد فقد يكفى للرد عليها أن الأستاذ كامل كيلانى أقدم على أدب مصرى قومي جديد ولم يسبقه قصصى آخر الى تصوير العاطفة المصرية فى مثل هذا التوفيق ؟

الاسكندرية فى ٥ سبتمبر سنه ٩٢٩

على محمد البحراوى

حول انشقاق القمر

كثر البحث حول مسألة انشقاق القمر وهل كان انشقاقه فى الماضى أم أنه سوف يحدث فى المستقبل عند حلول الساعة المعهودة. لهذا رأيت أن أدلى برأيى وأقول كلمتى فى هذا الموضوع الخطير.

لا يخفى أن نظام الاجتماع وارتقاء النوع البشرى يتوقف على أمرين بل يقوم على عمادين الأول عماد العلم والثانى عماد الدين. بل المعروف أن هذين العمادين هما الاساس لكل رقى اجتماعى ممكن أن يكون للانسان فيه نصيب فى هذه الحياة

كذلك لا يغيب عنا أن أكثر الذين ينكرون الاديان اليوم انما ينكرونها لمعاندتها العلم ومخالفتها لمقرراته الأولية. على أن قصور الفهم وعدم التعمق فى الفكر هو السبب الأوحد فى أن يظهر الدين لدى هؤلاء بمظهر المعاند للعلم المخالف لطبيعته. على أنى لم أقع حتى اليوم على بحث طريف استطاع باحثه أن يوفق بين روح الدين وبين مستكشفات العلوم كما ينبغى. وكان هذا على الارجح هو السبب فى قيام تلك المناقشات الطويلة حول انشقاق القمر وهل كان فى الماضى أم أن انشقاقه سوف يحدث فى المستقبل، مع أن محور البحث يجب أن يدور أبداً حول الحقيقة الأولية، وهل يخالف انشقاق القمر ماديا وواقعاً العلم أم يجاريه؟ هذا لان بحث هذه الحقيقة فى الواقع تمهيد ضرورى لمثل هذا البحث.

ولا ريبة مطلقاً فى أن مسألة انشقاق القمر مرتبطة بمسائل أخرى، مثل انشقاق السماوات وانتثار الكواكب وسقوط النجوم، وتكوير الشمس الواردة فى القرآن الكريم بصيغة الماضى، وفى الانجيل الجليل بصيغة المستقبل. فقد قال المسيح له المجد جواباً على سؤال عن رفاق مجيئه الثانى ... ومن وقت ضيق تلك الايام تظلم الشمس

والقمر لايعطى ضوءه والكواكب تتساقط » ـ الخ ـ الى غير ذلك من الآيات التي تناقق العلم والعقل ظاهرها . و بسبب ذلك ينكر كثير من الفلاسفة والطبيعيين الاديان فانهم يرون قصوراً عن ادراك المعانى المستخفية وراء هذه الظواهر، أن السماء فضاء غير متناه . وان فى الكواكب ما هو أكبر من الكرة الأرضية ، بحيث لو سقط أحدها أو خرج عن مداره اختل نظام الكون الطبيعى . إذن فانشقاق القمر لم يحصل لانه لو انشق لرآه الناس فى جميع الاقاليم ولاثبتوه فى تواريخهم ولآمن الناس كلهم بهذه الواقعة ، بل لآمنوا كلهم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ولم يحتج الى الجهاد الطويل فى سبيل اعلاء كلمة الله .

واذا فرض وسلمنا بأن القمر انشق حقيقة فان هذا لايكون معجزة له عليه السلام لأن هذه الظاهرة ليست من جنس الدعوى ولا من صفة الفعل . فاذا ادعى طبيب أو عالم بفنون الصحة وأن كل منهما بدليل على ذلك طيرانه فى السماء وطار بالفعل، فان عمله هذا لايدل على أنه طبيب أو عالم بفنون الصحة ، على الرغم من أن الطيران الى السماء فعل موجب للعجب . ذلك لان هذا العمل ليس من جنس الدعوى ولا من صفة الفعل، ولا رابطة بينه وبين موضوع الطب . ذلك لان الطب موضوعه حفظ الصحة ومقاومة الامراض . الى هذا أشار القرآن الكريم بقوله جل وعلا ـ « وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل انما الآيات عند الله ، وانما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم . ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . » ويشير القرآن فى آيات كثيرة الى أن الانبياء لم يستدلوا على صدق دعواهم بالمعجزات المقترحة بل استدلوا بالكتاب ـ « قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين . ـ » « الكتاب هدى للمتقين . يريد الله أن يحق الحق بكلماته . » وأن المسيح له المجد لم يجب القوم بالآيات المقترحة من قبيل انطاق الحجر وابراء العيون وأحياء الموتى وقلب الحصى حية وغير ذلك ، بل أنكرها على القوم حيث قال ان الجيل الفاسق الشرير يطالب الآيات الخ الخ . وقد يقال بان

الرسول عليه الصلاة والسلام لو استدل على صدق رسالته بانشقاق القمر لرجع اليه الناس قائلين ان انشقاق القمر لا يكون لك دليلا على صحة دعواك لانه ليس من جنس الدعوى . وعلى هذا لايكون أمام المعلل لهذه المعانى الا أمران . فاما الاذعان . وأما البرهان . أما الاذعان فبو أننا معشر المؤمنين نؤمن بالكتب المقدسة وأسرارها سواء أفهمنا ظاهرها و باطنها وتأويلها ومتشابهها أم لم نفهم من ذلك شيء ، وأما البرهان القاطع على دحض أقوال الطبيعيين و المنكرين للاديان فعدم فهمهم أسرارها بالاسباب المذكورة فنقول انما يرد الأشكال لو كانت معانى الآيات محصورة فى المعنى الظاهرى فى حين أن الأمر ليس كذلك فان للكتب السماويه معان وأسرار واستعارات ومشابهات وتأويلات لا يعلمها الا الله والراسخون فى العلم كما قال جل شأنه « لا يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم » . « ولما يأتيهم تأويله » ويوم يأتى تأويله » « ثم إن علينا بيانه » . فلا تنحصر معانى الكتب الالهية فى المعني الظاهرى ، بل لها تأويلات شتى . فكما أنه لانفاد لكلمات الله وأسرار آياته كذلك للشمس والقمر والنجوم والكواكب معانى سامية وأسرار عاليه واطلاقات شتى لما ذكر فى كثير من المواضع . ففى مقام تطلق الشمس والقمر على الانبياء لانهم شموس أنواره و أقمار صفاته . ولولاهم لما استضاء أحد بأنوار العرفان . وفى مقام تطلقان على أولياء الله لأنهم شموس الولاية و أقمار الهداية بين البرية . وكذلك النجوم والكواكب أطلقت على المعانى المذكورة كثيراً كما لا يخفى على من تتبع اللغة العربية وقصائد الشعراء . وأطلاقها على هذه المعانى المذكورة فى قصائد الشعر مشهور معروف . مثل قول الفرزدق من مدح النبي عليه الصلاة والسلام

لنا قمر السماء وكل نجم
تشير اليه أيدى المهتدينا

فانه شبه الدين بالسماء والنبي عليه السلام بالقمر وأتباعه الكرام بالنجوم . وعلى

هذا يكون انشقاق القمر معنى خفيا غير ظاهرى . وأقربه عندى أنه بظهوره اضمحلت المعارف الانسانية القديمة وانشق له قمر المعارف الجديدة التى بشربها لاهل وقته فاخرجهم بها من ظلمات الجهل الى نور العلم والعرفان .

القاهرة　　　　فرج الله زكى الكردى

فهرست